# حـــلم

أحمد السيد

**حلم / قصص**

أحمد السيد

**الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩**



**دار اكتب للنشر والتوزيع**

القاهرة ، ١ش المعهد الديني ، المرج

**هاتف :** ٠٢٢٤٤٠٥٠٤٧

**موبايل :** ٠١٢٩٢٥١٥٩٢ - ٠١٨٢٣٦٣٠٣٥

**E – mail : dar_oktob@gawab.com**

**المدير العام :**

يحيى هاشم

**تصميم الغلاف :**

حاتم عرفة

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٣٨٢٩

**I.S.B.N:** ٩٧٨-٩٧٧-٦٢٩٧-٩٥-١

# حـلم

قصص

أحمد السيد

الطبعة الأولى

٢٠٠٩



دار اكتب للنشر والتوزيع



# إهداء

إلى

أمي الغالية: أعظم إنسانة وأطيب قلب قابلته في حياتي.

أختي الحبيبة مروة: لولاكِ ما ظهرت تلك الصفحات إلى النور.

باقي أفراد أسرتي (أخي محمود و أخي محمد وزوجته وفاء وأولاده يوسف وغادة):

أعزكم الله وبارك فيكم.

أعز أصدقائي (أحمد أسامة، أحمد عوض، أحمد بهاء، محمد طارق ومظفر): سنظل دومًا -بإذن الله- رفاق الحلم.

أحمد السيد



# المجهول

١

صرخ هشام: "ابتعدي عني يا سلمى، سأقتل نفسي... فقد سئمت هذه الحياة، وضاق بي العيش فيها .. لن أسمح لنظرات العطف والشفقة أن تقتلني بعد الآن .. سأتولى الأمر بنفسي"

فأخذت سلمى تبكي وهي تقول: "لا يا حبيبي ليست نظرات عطف وشفقة.. كلنا نحبك"، ثم طأطأت رأسها في خجل وقد أحمرت وجنتاها المبللتان بالدموع التي مازالت تنهمر: "أنا أحبك، ماذا سأفعل من دونك، إن قتلتَ نفسك فسأقتل نفسي أنا أيضا".

رد هشام: "ابتعدي عني أيتها الخائنة، أنت تريدين موتي لكي تظهر علاقتك بخالد إلى النور، لقد حطمتِني أنتِ أولاً.. سأموت كي أريح الجميع مني ولا أراهم يتخلّون عني... حتى أُزيح عن عاتق أخي مشقة رعايتي .. سأموت وأنا أحبك من كل قلبي... ومازلت أتنفس هواء حبك... سأموت من أجل سعادتك... فلا تنسي".

وهنا دخل المترل مجموعة من الرجال، تظهر على وجوههم علامات القسوة والجدية، يتقدمهم رجل أسمر البشرة، ضخم الجثة، ففزع هشام من دخولهم، وقال لهم: "ماذا تريدون؟... من أنتم؟".

أجابه هذا الرجل، وكان يُدعى عبد الجواد: "نحن هنا من أجلك يا هشام، دع هذا المسدس جانبًا، دعنا نتحدث قليلاً"، وأخذ عبد الجواد يقترب قليلاً من هشام.

فقال هشام: "ابتعد عني أيها الرجل، مَن أنت؟ وماذا تريد مني؟ ومَن هؤلاء الرجال الذين معك... لا تقترب مني"، فقال عبد الجواد: "لا تقلق يا هشام، دع هذا المسدس أولاً، ودعنا نتحدث".

رفع هشام المسدس إلى رأسه وقال: "لقد جئت متأخرًا أيها الرجل... لقد انتهت حياتي من بعد الحادثة... لقد انتهيت تمامًا.. لا قيمة لي الآن، ولكن إن كنت تريد أن تساعدني حقًا، فلا تدع سلمى تراني وأنا أموت.. إني أخشى عليها هذا المشهد.. دعوني أمت وحسب"، ثم صرخ هشام: "هيا اخرجوا الآن"، رفع عبد الجواد عينيه إلى رجاله وأشار إليهم بإشارة يعلمونها، فتقدموا ببطء نحو هشام، وقال له عبد الجواد: "إذا أردت أن تموت فلا يجب أن تقتل نفسك بنفسك"... ثم ابتسم ابتسامة غامضة، وأمر سلمى أن تخرج من المنزل، فخرجت مسرعة وهي تبكي بشدة... وانتظرت أمام مدخل المنزل وأخذت تقول: "ارحمنا يا إلهي، كن معنا يا إلهي".

وفجأة انطلقت الرصاصة... وأظلمت الدنيا.

## ٢

لم تكن هذه هى البداية.. وربما تكون هذه هى النهايــة.. ولكن من أين نبدأ، دعونا نعد إلى ما قبل ذلك.

هشام شاب وسيم، جذّاب، من أسرة غنية، فوالده الســيد عبد المنعم إبراهيم، رجل أعمــال فى الأربعينيــات، ووالدتــه السيدة فاطمة الحسيني، تعمل كمديرة مجلــس إدارة شــركة مستحضرات تجميل، وكان الاثنان مشغولين طوال اليــوم، لا يرى بعضهما البعض إلا على مائدة العشاء، ولم يوليا ولديهما -هشام وفريد- الوقت الذى يتطلبه شابان مثلهما فى مقتبــل العمر.

يوماً بعد يوم، أصبحت المشاعر بينهما كبرودة الجليد، فــلا تشعر بينهما بأى رابطة غير رابطة العشاء الذى يجمعهما مــع ولديهما هشام وفريد، ونفس الإحساس شعر به الابنان تجــاه أبويهما، فكان همهما الشاغل أن يحصلا على المال من أبويهما، وكان هذا كل ما يربطهما بهما.

استمرت الحياة فى هذه الأسرة المفككة فترة من الــزمن... حتى شعر الوالدان باستحالة المعيشة هكذا فى جو مليئ بــالبرود والهدوء القاتل وتبلد المشاعر، واتفقا على أن يبقيا الابنين مــع والدهما وأن يزورهما والدهما أسبوعيًا... وهكــذا اســتمرت

الأسرة فى التفكك أكثر فأكثر، والغريب أن الابـــنين هـــشام وفريد لم يشعرا بأى فارق من هذا التغير فى الأســـرة، وكـــأن الأمر لا يعنيهما برمته.

ولهذا كانت أفضل الأوقات هى التى يقضيها هـــشام مـــع صديق عمره خالد.

خالد فتى مهذب، مبتسم، مرح، لا يتعامل معـــه أحـــد إلا ويحبه، بدأت معرفته بهشام منذ الصغر، بعد هجرة والد خالد، السيد شريف عبد القوي من الصعيد واستقراره بالقاهرة.

لقد غادروا الصعيد بعد استقالة والده من منصبه، فالـــسيد شريف كان عضوًا فى مجلس الشعب، وكان من أبرز الرجـــال البارزين فى المجلس، غيور جدًا على بلاده، مخلصٌ ومتفـــانٍ فى حبه لها، مما آثار حوله العديد من المشاكل والمضايقات، ولكنه لم يأبه.. فقد كان مـــن القلائـــل المخلـــصين لكرســـيهم فى المجلس... يعلم قُدسية هذا المكان ومدى المهام المُحملة علـــى عاتقه، ومسئوليته تجاه من اختاروه ليكون مرشحهم.

ولكن سفينة بدون قبطان لابد وأن تغرق.. ففى الانتخابات التالية لمجلس الشعب، لعبت الرأسمالية والفساد جنبًا إلى جنـــب دورًا كبيرًا فى قلب الطاولة على رأسه وعلى رأس مؤيديه.

وهكذا طالته أيدي الفساد وأصبح عضو مجلـــس شـــعب سابقًا، فقرر الرحيل من الصعيد، وذلك ما كان.

هكذا تربّى خالد فى أسرة غنية بالمودة والحب، سواء للوطن أو لبعضها البعض، وكان هشام أول من تعرّف عليه... وكانا يمضيان معظم أوقاقما معًا.

وعندما دخلا الجامعة، استمرا رفيقين فى كل شيء... حتى جاء هذا اليوم الذى لن ينساه هشام أبدًا.

كان كعادته فى طريقه إلى المترل، وبصحبته أخـــوه فريـــد وصديقه خالد، وفى الطريق انشغل الثلاثة بالحديث عن اليـــوم الدراسي، ولم ينتبهوا لتلك السيارة التى تجري مسرعة نحوهم.

لاحظ هشام السيارة، فدفع أخاه وخالد جانبًا، ولم يسعفه الحظ بأن يبتعد قدر الإمكان، فكاد يهلك، لولا تنبـــه قائـــد السيارة إليه.. فحاول أن يوقف السيارة بأقصى ما يملك مـــن مهارة، ولكنه صدمه صدمة خفيفة.

فوقع هشام على الأرض... وبسرعة فتح قائد السيارة باب السيارة وانطلق إلى هشام ليطمئن عليه، وكانت هـــذه هـــى النظرة الأولى التى تحكي عنها قصص الحب فى التـــاريخ، لقـــد نسى هشام تمامًا ما به، وما سببته تلك الفتاة الشقراء الجميلـــة من آلام له.

عندما يحكي هشام عن هذا الموقف، فإنه يقـــول: بعـــد أن سقطت على الأرض، كدت أصرخ فى صاحب الـــسيارة. إلى

أن رأيتها.... كل ما أتذكره أنى أحسست وكـأن الـشمس أشرقت فى عيني، حتى إنني أغمضت عيني وفتحتهما ثانيـة، لا أعلم لماذا؟! حتى لا تحرق الشمس عيني؟! أم لأتيقن مـن أنى لا أحلم؟!

كانت هذه الشقراء هى سلمى، الطالبة الجامعية الثرية مـن أسرة راقية، تجد فيها كل مميزات الفتاة العصرية مـن تعلـيم وجمال وثراء وروح جذابة، أسرعت نحو هشام وهى فزعة جدًا وفى حالة يرثى لها، فلو نظرت إليهمـا لرأيـت العُجـاب... المصاب الجريح ينظر إليها مبتسمًا فى غاية السعادة، وهى تنظر إليه فى فزع ورعب.

قالت سلمى لهشام: "أنا آسفة جدًا، لم أرك تعبر الطريـق، هل أنت بخير؟ ماذا حدث لك؟ هل تؤلمك قدمك؟"، وكـاد فريد وخالد أن يصيحا فيها ويعنفاها على ما فعلتـه بهـشام، ولكنهما صُعقا عندما سمعا هشام يقول لها: "أنا لم أكن بحـال أفضل من الآن".

منذ هذه اللحظة وهشام يتقرّب إلى سلمى، ومرت الأيـام وطيور الحب تحوطهما، أصبحا لا يفترقان... وهكذا انضمت سلمى إلى الثلاثي هشام وفريد وخالد، وهكذا مرت الأيام إلى أن جاء هذا اليوم....

كانوا هم الأربعة في سيارة سلمى، وكان هشام هو من يقود السيارة، وشغلهم ضحكهم ومزاحهم عن رؤية تلك الشاحنة الضخمة التي تسير في اتجاههم، ولم ينتبهوا إلا بعد فوات الأوان، اصطدمت السيارة بالشاحنة في حادث مروع.. نقل على أثره الأربعة إلى المستشفى.

هُرع الآباء والأمهات إلى أبنائهم في المستشفى، ليطمئنوا عليهم، كان فريد وخالد أقل المتضررين، فقد أصيبا ببعض الجروح والكدمات السطحية... أما سلمى فقد كُسر لها ضلعان و ذراع، أما المتضرر الأكبر فكان هشام الذي راح في غيبوبةٍ عميقةٍ.

فتح هشام عينيه.. فوجد حوله والدته وفريد وخالد وسلمى... فنظر إليهم وقال: "أين أنا؟ منذ متى وأنا هنا؟"، فردت عليه والدته: "لا تقلق يا بني أنت هنا في المستشفى منذ شهر"، قال لها: "هيا بنا نذهب من هنا، أريد العودة إلى المترل"، ثم نظر حوله فوجد أمه وسلمى يبكيان.. ووجد أخاه فريد قد غادر الحجرة حزينًا تاركًا إياه .. فقال: "ماذا حدث يا أمي؟ أنا بخير لما البكاء إذن".

قالت له: "لا شيء يا بني ولكنك لا تستطيع العودة إلى المترل الآن"!!

## ٣

كانت الحادثة قوية جدًا، تأذّى منها هشام بشدة.. فقد أثرت على عموده الفقري، وأفقدته القدرة على المشي، لقد قال الأطباء إنه من الصعب أن يعود كالسابق وأن يعاود المشي مرة أخرى، فأصبح هشام قعيد الكرسى المتحرك.

رجع هشام إلى مترله، وعند مدخل المترل، توقّف حينًا ينظر إلى أرجاء المترل قبل أن يتحرك، لم يعلم أحد لماذا توقف أو فيما كان يفكر، لقد كان يتذكر تلك الأيام التى كان يتمتع فيها بقدميه... لقد تذكر ذلك اليوم الذى كان يلعب فيه مع فريد وخالد فى المترل وهم أطفال.

دخل هشام غرفته، وطلب منهم ألا يدخل عليه أحد، حبس نفسه فى غرفته لمدة أسبوع لا يكلّم أحد، فكان أخوه يضع له الطعام أمام الغرفة كل صباح، حيث لا يسمح له هشام بالدخول.

عاش هشام أصعب أسبوع فى حياته، كان يقضي نهاره فى الصمت والتفكير، راقدًا على الفراش يبكي، ويظل على تلك الحالة حتى يأتي الليل بسكونه ووحشته، رافضًا توسلات أمه ورفاقه بالدخول إليه والتحدث معه، وكثيرًا ما رفض أن يرد على الهاتف كلما رنّ... وعندما أجاب على الهاتف فى يوم من

الأيام، لم يستطع أن يتكلم، لقد شعر في تلك اللحظة أنه فَقَـد القدرة على الكلام في نفس الوقت الذى فَقَد فيه القدرة علـى المشي.

كان يعشق الليل... ربما وجد فيه نفسه، كان يرى في الليل صورة الرجل الضعيف الذى لا ينفع ولا يقوى على فعـل أي شيء... ولكنه نسى أنه بدون هذا الليل، لن يشعر بالنهار.

كان من الصعب عليه التأقلم مع الوضـع الجديـد... أن يستقر بعد أن كان مليئًا بالنشاط والحيوية، أن تهدأ طموحاتـه وربما اندثرت بعد أن كانت متأججة.

لقد كره الحياة بمن فيها... بما في ذلك كل من يحب، حـتى سلمى...... كلما تذكّر اسمها شعر وكأن الكلمة لا تـستطيع أن تخرج من فمه، وكثيرًا ما أخذ يردد اسمها في أثنـاء نومـه كالمحموم، أو كالغريق الذى يبحث عن سفينة تنتـشله مـن الغرق، في نفس الوقت الذى يخشى على السفينة أن تغرق معه في هذا الموج الذى أحاط به، حتى طوّقه.

هكذا بات ليلة في صراع مع نفسه، وكلما حاولت سلمى الاتصال به أو طرق باب غرفته، لا يكن يسمح لها بالدخول، فكانت تقف على بابه كل يوم، وهى تبكي وتقول: "افتح يـا هشام... إني أحبك يا هشام... لا تتركني هكـذا، مازلـت وسأظل أحبك للأبد"، فكان يبكي كلما سمع تلك الكلمات، ويشتد في البكاء ولا يستطيع أن يحرّك ساكنًا.

استيقظ هشام كعادته فى الصباح الباكر، فأخذ يبحث عن الكرسي المتحرك حتى يجلس عليه، فلم يره... فأخذ ينادي على أخيه ووالدته، لكي يبحثوا له عنه، فلم يجب أحد نداءه، ففكر أن ينزل من على الفراش ويزحف على الأرض حتى يصل إليهما، وعندما قام ذُهل مما رآه... لقد كان بالفعل آخر شيء ممكن أن يتوقعه!

لقد وجد نفسه يمشي مرة أخرى!!

أخذ يتحسس قدميه فى سعادة بالغة... وأخذ يصرخ ويقول: "أنا أمشي.. أنا أمشي"!!!

فهرع أخوه وأمه على صراخه فزعين... فسأله فريد: "ما بك يا أخي؟"، فقال هشام وهو فى قمة السعادة: "بارك لي يا أخي، أنا أسير.. أنا أمشي بدون كرسي متحرك.. أنا سعيد".

فقال فريد وهو فى شدة الحيرة: "وما الجديد فى ذلك، فأنت تسير على قدميك، ولا وجود لهذا الكرسي المتحرك الذى تتحدث عنه"، وهنا صُدم هشام فقال: "كيف ذلك؟ لقد أصبت بشلل فى قدمي بعد الحادثة، ولم أستطع أن أتحرك بعدها".

فقالت له أمه: "أي حادثة يا ولدي؟ لابد وأنك كنت تحلم"!!

٤

جلس هشام على مائدة الطعام مع والدته وأخيه، وكانـــت تبدو عليه علامات الذهول، ثم قال: " أنا لا أصدق، يا له مـــن حلم بشع، لقد رأيتك يا فريد في الحلم، وكان معنـــا خالـــد وسلمى"، فقال فريد: "ومن سلمى؟"

توقّف هشام عن الأكل، ثم قال في فزع: "سلمى؟ لا تقـــل لي إنها كانت حلمًا وليس حقيقة؟ قل لي بالله عليك؟"

فقال فريد: "يبدو أنك لم تستيقظ بعد من النوم يا هشام، لا وجود لسلمى تلك التي تتحدث عنها".

فصعق هشام وقال: "ياإلهي! يا إلهي! لقد كانت أجمل مـــا حدث لي في الحلم، هل سأراها ثانية ؟ هل سأقابلها؟".

فقالت له والدته: "يا ولدي لا تقلق، ســـتجد ســـلمى أو مثلها، فإنك شاب تتمناه أي فتـــاة، فأنـــت غـــني ووســـيم وجامعي"، فقال هشام: "ولكني لن أحب إلا سلمى".

فصرخ فريد: "استيقظ يا هشام، إنها مجرد حلـــم... إنهـــا حلم!! "، ثم سكت قليلاً وقال: "هيا بنا يا أخي لقد تأخرنـــا عن الجامعة"، فقام هشام معه وهو مايزال متأثرًا مـــن شـــدة الصدمة.

وكالعادة ذهبا إلى خالد ليصطحباه إلى الجامعـــة، وعنـــدما وصلا إلى مترله، أخذ هشام يطرق الباب، ففتح له والد خالـــد السيد شريف، فقال لهما: "صباح الخير يا هشام، صباح الخير يا فريد"، فقال هشام: "صباح الخير يا سيدي، كيـــف حالـــك، وأين خالد؟"، فقال له السيد شريف: "أنا بخير، وخالد ســـيأتي حالاً".

ولم تكن إلا بضع دقائق حتى ذهب الثلاثة، وبينما هـــم فى طريقهم إلى الجامعة، قال فريد مازحًا: "تخيّل يا خالد، لقد حلم أخي بكابوس فيه أشياء غريبة، لقد حلم أنه تعرّف فتاة صدمتنا بسيارتها"، فقاطعه هشام قائلا: "بل صدمتني أنا، ولم يـــصبكم أذى".

فقال فريد: "أعتذر يا سيدي، وهذه الفتاة كانـــت تـــدعى سلمى حب حياته كما يدعي ثم.." فقاطعه خالد قائلا: "أنت هكذا يا هشام، دائما تراودك الأحـــلام العابثـــة"، ثم أخـــذ يضحك.. فضحك فريد، مما جعل هشام يترك شعوره الحـــزين ويضحك معهم، بعد وصولهم إلى الجامعة، قال فريـــد لأخيـــه هشام: "ألم تر؟ لم تصدمنا سيارة بعد، ألم أقل لك إنها مجـــرد حلم "، فقال هشام: "وسلمى؟ هل هى حقيقة أم خيال؟"

فقال خالد: "مما سمعتـــه منـــك، فإنهـــا لا توجـــد إلا فى أحلامك... انظر يا صديقى، هذه هى الجامعة بفتياتها، فـــاختر منهن من تشاء واترك خيالك هذا".

ثم دخل الثلاثة قاعة المحاضرات، وظل هشام يتلفت يمينًا ويسارًا، لعله يجد ضالته المنشودة، وحلمه البعيد، وظل خالد وفريد يضحكان من تلك التصرفات، ولكنه لم يعبأ بهما.

وفى نهاية اليوم، سار الثلاثة فى طريق عودهم إلى المترل، وخالد وفريد يهزءان بتصرفات هشام الغريبة وحلمه الأغرب، فأخذ خالد يقول: "قل لي بالله عليك يا هشام، هل هى جميلة إلى هذا الحد الذى يجعلك تهيم بها عشقًا؟".

فقال هشام: "إنها ليست فقط جميلة، إنها أروع وأجمل إنسانة رأيتها فى حياتي كلها، إننى لم أحبها فقط، بل عشقتها إلى حد الجنون... أنا لا أتخيل العيش بدونها".

فقال فريد وهو يضحك: "يا لك من عاشق!"، ثم توقّف فجأة عن الضحك عندما وجد نظرة الصرامة في عيني أخيه، مما جعله يقول: "ماذا يا أخي؟ هل مازلت تؤمن أنها ليست حلمًا؟"

فقال هشام: "بل وأشعر أنها معنا.. أنا أشعر بذلك"، ثم نظر إلى خالد وقال: "هل ستساعدني يا خالد فى البحث عنها غدًا"، فقال خالد: "إذا كانت هذه رغبتك، فلتكن.. وبالرغم من أني غير مقتنع لكني سأظل معك حتى النهاية".

وهنا حاول فريد أن يمنع علامات الضحك من الظهور على وجهه، ثم نجح أخيرًا وقال: "وأنا كذلك معكما".

ثم همَ الثلاثة بالتحرك، لولا أنهم فوجئوا باندفاع سيارة نحوهم، وكان المشهد نفسه فى غاية الغرابة، من المنطقي أن يحاول الثلاثة أن يتفادوا السيارة بأقصى سرعة، وهذا ما فعله خالد وفريد، ولكن هشام تذكّر ذلك الموقف عندما رأى مثله فى الحلم، واعتقد أن السيارة لن تقتله كما حدث فى الحلم، وأن التى تقود السيارة هى سلمى، فأقعده تفكيره عن الحركة ومفاداة السيارة، وهذا ما لاحظه فريد فصرخ: "يا مجنون!"واندفع بأقصى سرعة إلى هشام لكي يدفعه بعيدًا عن مسار السيارة، وفى تلك اللحظة أفاق هشام من خياله، لم تكن هى السيارة التى رآها في الحلم، سواء فى الحجم أو في اللون... ولكنه تيقّظ فى نفس اللحظة التى أسرع نحوه فريد لكى يدفعه، وبالفعل دفعه فريد جانباً ولكن لم يستطع فريد أن يتفادى السيارة التى كانت منطلقة بسرعة قصوى، وكان هذا التصادم المروع.

صدمت السيارة فريد، وهرب سائق السيارة -الذي لم يكن سلمى- مسرعًا، فى نفس اللحظة التى أسرع خالد وهشام تجاه فريد، وهما فى أشد حالات الرعب، وعندما وصلا إليه، وجدا وجهه مغطى بالدماء، ويأخذ أنفاسه بصعوبة، فقال فريد: "هشام.. لا تنسي يا هشام، ولا تترك أوهامك تطاردك حتى

تقضي عليك"، ثم نظر إلى خالد وابتسم وقال: "لا تدع أحلامه الخبيثة تقتله يا خالد.. إني أحبكما".

ثم أغلق عينيه وهدأت أنفاسه أو ربما انقطعت.

أخذ خالد يبكي بكاءً شديدًا، أما هشام فقد صرخ وضمّه إلى صدره وهو يبكي ويقول: "أنا من قتلك، أنا من قتلك".

ثم رفع يده ووجهه إلى السماء وقال: "أنا من قتلـــك يـــا فريد!!"

٥

استيقظ هشام وهو يصرخ: "فريد، فريد.."، فأسرعت أمه وأبوه وفريد إلى غرفته، ثم قال والده السيد عبد المنعم: "مـــاذا بك يا بني؟ أهو كابوس آخر؟ اهدأ يا بني".

فأخذ هشام يصرخ قائلاً: "فريد..فريد"، فذهب إليه فريـــد قائلاً: "أنا هنا يا أخي.. اهدأ.. إنك تجعلنا حزانى من أجلك". ثم أخذ يبكي.

قال هشام: "إنه إذاً كابوس، وليس حقيقة.. الحمد لله.. لقد رأيت أسوأ كابوس في حياتي، الحمد لله أنك بخير يا فريد"، ثم احتضن فريد لدرجة أن فريد كان يجـــد صـــعوبة في التقـــاط أنفاسه، تركه الجميع، وأخذ هشام يلهث من شدة الانفعـــال لدرجة أنه ظل جالسًا على الفراش لا يستطيع أن يتركه.. كان مشتت الفكر، حتى سمع صوت أبيه يقول له: "هشام، هيـــا إلى الإفطار"، فخرج هشام من غرفته وجلس على مائدة الطعـــام كعادته، ثم نظر فجأة إلى أبيه وقال: "أبي... هل أنت مقيم معنا منذ فترة؟" فنظر الجميع إليه في دهشة من غرابة السؤال.

ثم قال والده: "ما هذا السؤال يا هشام؟ أنا هنـــا منـــذ أن تزوجت والدتك؟"، فهمس هشام: هل هذا يعني إنك وأمـــي لم...؟"

أردف والده: "إن حالتك النفسية غير مستقرة في هذه الفترة"، فسأله هشام: "ماذا تعني يا أبي؟" فرد والده: "إنها ليست المرة الأولى التي تحلم فيها بتلك الكوابيس المزعجة.. وإني لأرى أن من الأفضل أن يراك طبيب نفسي".

صاح هشام: "أنا لست مجنونًا يا أبي، إنه مجرد كابوس واحد، وأنا لا أتذكر أني حلمت بكوابيس غيره"، فقالت له والدته وهي تبكي: "كل مرة تقول نفس الكلام... تدّعي إنها المرة الأولى وأنك لم ترَ كوابيس قبل ذلك، وأصبحت تهذي بكلام غريب".

فقال هشام مندهشًا: "أنا أفعل ذلك؟! ولكني بالفعل لا أتذكر، وماذا كنت أقول خلال هذياني يا أمي؟" أجابته: "كنت تقول كلمات مخيفة أحيانًا، فكنت تذكر أشياء عن الموت وعن حوادث وما إلى ذلك.. إنك تُرعبنا يا بني!!"

أردف هشام: "ولكني لن أذهب إلى طبيب، أنا بخير"، فقال له والده: "لا يا بني، للأسف أنت لست بخير، وتحتاج أن تذهب إلى طبيب نفسي"، وسكت برهة ثم قال: "دكتور صبري وفيق، صديق شخصي لي، وسأحدد لك موعدًا معه في الغد.. والآن اذهب إلى جامعتك فقد تأخرت... وأنت يا فريد، لا تجعل أخاك يغيب عن عينيك"، فقال له فريد: "بالتأكيد يا أبي".

وكالعادة توجّه فريد وهشام إلى مترل خالد، ليصطحباه إلى الجامعة، وفى الطريق سارا فترة فى صمت، ثم بدأ هشام الكلام فقال: "أنا أحلم بكوابيس ولا أتذكرها.. أهذا صحيح يا أخى؟" فقال فريد: "للأسف، هذا صحيح"، فقال هشام: "ولكن لماذا يا ترى؟ ولماذا أشعر بأن الكابوس الذى حلمت به الليلة الماضية ليس حلما ولكن حقيقة؟"، فقال فريد متألماً: "إنك تقول نفس الكلام كل مرة يا أخى، أعتقد أن فكرة الذهاب للطبيب النفسي فكرة صائبة ولا تقلق ستكون بخير".

وعندما وصلا إلى مترل خالد، طرق هشام الباب ثم قال لأخيه: "لماذا أشعر وكأن هذا الموقف تكرر قبل ذلك". فقال له فريد ضاحكاً: "إنك بالفعل تأتي معي إلى مترل خالد كل يوم... فماذا فى ذلك؟"، ولكن هشام ظل متجهم الوجه، إلى أن فتح السيد شريف عبد القوي والد خالد الباب فحيّاهما: "صباح الخير يا هشام، صباح الخير يا فريد"، فرد عليه هشام قائلا: "صباح الخير يا سيدى.. كيف حالك؟ وأين خالد؟"، فقال له: "أنا بخير وخالد هنا، ولكنه لن يستطيع أن يأتي معكما اليوم"، فسأله فريد: "لماذا يا سيدي؟"، أجابه السيد شريف: "إنه سيأتي معي إلى العمل فى مجلس الشعب!! ".

وفي هذه اللحظة، ظهر خالد أمام المترل، فقال له هشام: "نريد أن نتحدث معك قليلاً يا صديقي"، فخرج الثلاثة إلى

حديقة المترل، ثم سأل هشام خالد: "قل لي يا خالد، وأصدقني القول.. ألم يترك والدك مجلس الشعب ؟ لا تقل لى إنه لم يتركه وأن هذا مجرد حلم؟".

رد خالد: "نعم لقد تركه، ولكنه يرفض أن يعترف بهـــذه الحقيقة، حتى الآن يشعر وكأنه نائب فى المجلس، إنه مازال يرى فى نفسه ذلك الوطني الحريص على مصلحة الشعب والـــوطن، الواقف أمام الظلم بكل قوة وشجاعة ".

ثم سكت لحظة وهو يكاد يتمالك نفسه محاولاً أن يمنع دمعة من الفرار من عينيه ، ثم قال: "إنه يستيقظ كل يوم، وبعـــد أن يتناول الإفطار، يرتدي بدلته، ويطلب مني أن أذهب معـــه إلى مجلس الشعب ثم عندما يهمّ بركوب السيارة، يطلب مـــني أن أذهب إلى الجامعة وأتركه".

سأله هشام: "وماذا يفعل بعد ذلك؟ فقال خالد: إنه ينتظر حتى أختفي عن الأنظار وأبتعد عنه ثم يقوم بالسير فى الطرقات حتى تأتى الساعة التى كان يعود فيها إلى المترل مـــن العمـــل، ويرجع إلى المترل... هو على هذه الحالة، وهذا هـــو روتينـــه اليومي!!"

فقال له هشام: "أنا آسف يا خالد لما حـــدث لوالـــدك... أعتقد إنه هو الذى يجب أن يذهب إلى دكتور صبري ولـــيس أنا"، فقال خالد: "من دكتور صبري هذا؟"

أجابه فريد: "إنه طبيب سيذهب إليه أخي لعلاجه من الكوابيس والتصرفات الغريبة التي يُقدم عليها... وأعتقد أننا تأخرنا عن موعد المحاضرات، هيا بنا يا هشام".

قال خالد: "لقد كدت أنسى أن أذكركما بأن حفلة خطبتي اليوم، فلا تنسيا أن تأتيا.. سأنتظركما".

فقال له هشام متعجبًا: "خطبة... أي خطبة؟ ومن تلك العروس؟"

فأخذ خالد يضحك قائلا: "لا تدّعِ إنك لا تعلم، فأنت السبب في كل ما حدث... سأنتظرك يا صديقي، وداعًا".

## ٦

سار هشام وفريد في طريقهما إلى الجامعة، وبعد فترة من الصمت، سأل هشام أخيه فقال: "من هي خطيبة خالد؟ وكيف كنت أنا السبب؟"

أجابه فريد: "لقد أتعبتني يا هشام، لا تقل لي إنك لا تعلم خطيبة خالد"، فقال له هشام: أقسم لك أني لا أعلمها"، فأردف فريد: "وكيف هذا؟ ألا تعلم سلمى؟ سلمى يا أخي؟"،

صاح هشام في فزع: "سلمى؟ وكيف هذا؟ إنها حبيبتي أنا، ولقد نويت أن أخطبها".

فقال له فريد في غضب: "كف يا أخي عن أحلامك تلك، إن سلمى خطيبة صديقك خالد... ألا تتذكر ذلك؟ ولقد كان لك الفضل في ذلك"، فقال هشام: "كيف يا أخي؟ قل لي بالله عليك، أنا لا أتذكر أى شيء".

فقال له فريد: "حسنا سأروي لك ما حدث.. ولكني أصر على أن تذهب إلى الدكتور صبري اليوم قبل غد".

سكت فريد برهة ثم قال: "ألا تتذكر ذلك اليوم الذى كنا عائدين فيه نحن الثلاثة من الجامعة، وكنا نتحدث ونضحك، ولم ننتبه إلى تلك السيارة التي كانت مسرعة، فأسرعت أنا

وتنحيّت جانبًا، أما أنت فكدت تصطدم بتلك السيارة لولا أن خالد أسرع نحوك ودفعك جانبًا، ولم يستطع هو أن يتفادى السيارة، ولكن من حسن حظه، أن قائد السيارة استطاع أن يوقفها بسرعة، ووقع خالد على الأرض من شدة الخوف، ولم يكن قائد السيارة غير سلمى.

ولقد أصرّت أن تنقلنا نحن الثلاثة إلى منازلنا... ثم ذهبت بعد ذلك، أكثر من مرة إلى بيت خالد للاطمئنان عليه".

ثم ابتسم فريد وقال: "ولكني أعتقد إنها لم تذهب إليه للاطمئنان عليه فحسب، ولكني أعتقد أن السبب هو ذلك الذى يطلقون عليه سهم كيوبيد الذى أصاب كلاً من خالد وسلمى، ومنذ ذلك الوقت، توطدت العلاقة بينهما".

فصرخ هشام قائلا: "سلمى وخالد... يا إلهي!! أنا لا أصدّق، أنا الذى أحبها، كيف حدث هذا؟ لا أصدق !! "فقال له فريد: "إهدأ يا أخي... لولا عدم تنبهك للسيارة ووقوفك أمامها، لم يكن خالد ليتدخّل ويدفعك جانبًا ويقع هو على الأرض".

فقال هشام: "أنا لا أصدق... أنا أريد السير بمفردى الآن". ترك هشام فريد، وسار هائمًا على وجهه، لا يدري ماذا يفعل، كان يفكر فى كل ما مضى، وكيف يتصرف، هل سيتخلى عن

حبه؟ أم سيدافع عنه في مقابل أن يخسر صديق عمره ورفيق الصبا؟!

وبينما هو يفكر، وجد نفسه يصل إلى حافة البحر... وقف هشام صامتا ينظر إلى البحر... فكان يرى في البحر وهيجانه صورة لغضبه الشديد وثورة حبه، ويرى في تلاطم أمواجه على الصخور، تحطم آماله وأحلامه على أرض الواقع، ويرى في صفاء البحر صورة لوجه سلمى الجميل.

وظل هكذا فترة من الزمن.. ثم أخذ يسير حتى وجد نفسه عند منزل سلمى، فأخذ ينظر إلى المنزل من بعيد وهو يكاد يبكي... حتى رأى سلمى وأصدقاءها في غرفتها، لم يدر ماذا يفعل، إنه عاجز حتى عن التفكير، وفجأة عزم على أن يذهب إليها ويصارحها بحبه لها، فتقدّم نحو منزلها، وما إن وصل إلى الباب، حتى تراجع و غادر المكان، وفي المساء كان في غرفته يجلس أمام النافذة، ينظر إلى السماء بنجومها، حزينًا بائسًا، لا يدرى لماذا شعر وقتها أنه مثل تلك النجوم، لا يستطيع أن يتخلص من حبه لسلمى، كالنجوم لا تستطيع أن تترك السماء.

وظل هكذا إلى أن دخل عليه أخوه فريد قائلاً: "ما هذا يا أخي؟ ألم ترتد ملابسك بعد؟.. هيا أسرع حتى نذهب إلى الحفل"، فقال له هشام: "لن أذهب معك يا فريد".

فقال له فريد في استنكار: "لا تكن سخيفًا... إنه صديق عمرك، فكيف تتخلى عنه في مثل هذا الوقت.. هيا أسرع، سأنتظرك بالأسفل".

ولم تمض إلا بضع دقائق حتى لحق به هشام، وعندما وصلا إلى الحفل.. وجدا خالد جالسًا بجوار سلمى، وهما في غاية السعادة، وكان الاثنان يتلقيان التهاني من جميع الحاضرين، وعندما رأى هشام هذا المشهد، شعر بمرارة شديدة، وندم أنه جاء إلى الحفل، وحاول أن يغادر المكان، لولا أن جذبه أخوه فريد قائلاً: "هيا بنا نُهنئ العروسين".

ذهبا إليهما، وعندما وصلا، قال فريد: "مبارك لك يا خالد.. مبارك لك يا سلمى"، ولاحظ فريد صمت أخيه هشام، وهنا قال خالد: "ماذا بك يا هشام؟ أراك صامتًا على غير عادتك! أتشتكي من شيء؟" فقال هشام: "كلا، أنا بخير".

ثم نظر إلى سلمى وقال لهما وهو يمنع دموعه أن تفر منه: "أتمنى لكما السعادة دومًا"، ثم تركهم وذهب إلى حديقة المنزل وأخذ يبكي، وبينما هو جالس، وجد والد خالد السيد شريف يقترب منه، فحاول أن يمنع نفسه من البكاء، وجاء السيد شريف وقال له: "أهلا بك يا هشام، أراك تجلس بمفردك، لماذا؟"، رد هشام: "لا شيء يا سيدي، أنا فقط متعب".

فقال له السيد شريف: "أنا أيضا أردت أن أبتعد قليلا عن ضجيج الحفلة، فجئت إلى هنا.. أتمانع لو جلست معك؟" أجابه هشام: "لا بالطبع".

ثم قال السيد شريف: "أتعلم يا بني، أنا في غاية السعادة، لقد ظللت طيلة عمري أحلم بهذا اليوم... لقد ضحيت بأشياء كثيرة من أجل أسرتي.. أنا أتمنى لخالد السعادة".

فشعر هشام بأن آخر طبقة من طبقات الجليد الذى يغطي أنهار حزنه قد تفجرت، فقال له هشام: "أتعلم يا سيدي، أحيانا أشعر وكأني لا أستطيع مواجهة المشاكل، لا أعلم لماذا أهرب منها، أحيانًا أشعر بأني ضعيف، لا أقدر على مواجهة الصعوبات، وأحيانًا أخشى على من أحبهم.. وأظل هكذا في ترددي".

فقال له السيد شريف: "إذا واجهتك مشكلة، فلا تهرب منها، واصمد"، ثم سكت برهة وقال: "يا بني، لقد علمتني الدنيا، أن مشقة قول الحق أهون من ذل السكوت عنه".

ثم قال له: "آسف يا بني، ولكني أعتقد أني تأخرت على خالد، يجب أن أكون بجانبه الآن"، فقال له هشام: "حسنًا يا سيدى"، وظل هشام في مكانه فترة يفكر فيما قاله السيد شريف له، وفجأة قام من مكانه ودخل إلى المترل، لقد عزم

على أن يبوح بحبه لسلمى، فذهب إليها وقال لها: "سـلمى.. أريد أن أتحدث معك قليلاً".

فسارت معه حتى دخلا الحديقة، وهنا سألته سلمى وهي تبدو عليها علامات السعادة: "ماذا هناك يا هشام؟" فقال لها: "سلمى.. لا أدرى كيف ستتفهمي موقفي هذا، ولكن استمعي إليّ جيداً".

ثم أردف: "سلمى.. أنا من يحبك بل يعشقك .. أنا من لا يستطيع الحياة بدونك... أنا الذي كان من المفترض أن يقع أمام سيارتك وليس خالد... أنا الذي كان من المفترض أن تحبيه وليس هو... أنا الذي كنت سأخطبك وأظل بقربك طول حياتي".

فقالت له سلمى في تعجب: "ماذا تقول يا هشام؟ ما هذا الكلام السخيف؟ أنت بمثابة صديق عزيز لي لا أكثر، كيف تخون صديق عمرك هكذا؟"، فقال لها: "أنت لا تفهمين.. أنا أحبك يا سلمى.. فلا تتخلي عني".

ردت في غضب: "سأسامحك يا هشام على هذا الكلام بحكم الصداقة التي بيننا، ولن أقول لخالد ما دار بيننا.. ولكن رجاءً لا تحدثني في هذا الموضوع مرةً أخرى، أنا أحب خالد وكذلك هو، ولا شيء يمنعني من الزواج منه إلا الموت".

ثم تركته ودخلت إلى الحفل، أما هو فقد غادر المـــترل، لا يدري إلى أين يذهب...

لقد حطمته تلك الكلمات، فأخذ يسير حتى وجد نفـــسه أمام البحر مرةً ثانية... فأخذ ينظر إليه، فرأى صورة ســـلمى على صفحات المياه، فانتشلته تلك الابتسامة التي رآهـــا علـــى وجهها من كل مشاعر الحزن التي أحاطت به.

ولكن فجأة، جاءت موجة شديدة فأضاعت ملامح صورة سلمى التي رآها على المياه، وهنا صـــرخ هـــشام: "لا.. لا... سلمى.. سلمى"، وقفز إلى المياه يطارد تلك الصورة، و لم يكن يجيد السباحة، و لم يجد الصورة، فأخذ يبكي وهو يضرب بيديه سطح المياه وهو يقول: "سلمى..سلمى"، حتى اختفـــى مـــع صورة سلمى.

## ٧

استيقظ هشام وهو يصرخ قائلا: "سلمى.. سلمى".

فهرعت إليه الممرضة، وحاولت أن تهدئه قائلةً: "إهدأ يا هشام".

فقال لها: "من أنت؟" ثم نظر حوله فقال: "وأين أنا؟" فقالت الممرضة لزميلتها: "أسرعي وأبلغي دكتور صبري أنه استيقظ"، فأخذ هشام يصرخ ويقول: "أخرجوني من هنا... أخرجوني من هنا".

وفى تلك اللحظة جاء دكتور صبري، وهو رجل كبير فى السن، تبدو عليه علامات الهدوء والسكينة، وعندما رأى هشام، ابتسم وقال: "صباح الخير يا هشام"، وأمسك يده ثم حقنه بحقنة، وقال له: "إن هذه الحقنة ستهدئك الآن"، فقال هشام وهو يصرخ: "أين أنا؟ ومن أنتم؟ أين....".

وفجأة، تثاقلت الكلمات على لسانه، فلم يكمل عبارته وغرق فى سبات عميق، وهنا قال دكتور صبري للممرضة: "لا تغفلي عنه، لقد تدهورت حالته، سأبلغ أهله حتى يأتوا ويروه"، ثم غادر الغرفة تاركًا وراءه هشام غارقًا فى النوم.

استيقظ هشام على بكاء فريد، وعندما فتح عينيه، قال فريد: "حمدًا لله على سلامتك يا أخي... حمدًا لله.. لقد كنا

فى غاية القلق عليك"، وهنا قال هشام: "أين أنا؟ ولماذا أنا هنا؟ ولماذا كنت فى غاية القلق عليّ؟"

حاول فريد أن يمنع نفسه من البكاء وهو يقول: "أنت هنـــا فى مستشفى الأمراض العصبية"، وهنا قاطعه هـــشام قـــائلا: "مستشفى الأمراض العصبية.. لماذا؟.. أنا بخير، ولا أعتقد أنني يجب أن أكون هنا"، ثم أمسك يد فريد وقال: "هيا بنا يا فريد، هيا بنا نخرج من هنا".

فقال له فريد: "كلا يا هشام، إنك تحتاج إلى العناية، يجـــب أن تبقى هنا لبعض الوقت"، فقال هشام: "لماذا يا أخي؟ ومنذ متى وأنا هنا؟"، فأخذ فريد يبكي ولا يرد، فردد هشام السؤال مرةً أخرى، وهنا قال فريد: "لقد دخلت هنا بعد أن تدهورت حالتك النفسية، بعدما فقدنا سلمى".

فقال هشام: "فقدنا؟ إنك لم تفقدها... أنا فقط من فقدها، لقد تركتني.. تركتني وخطبها خالد... لقد تحطم قلبي فى هـــذا اليوم.. حتى لقد كدت أموت غرقاً فى البحر"، فقاطعه فريـــد قائلا: "خالد خطب سلمى؟ ما هذا الكلام الغريب؟ يـــا ليتـــه خطبها و لم يحدث لها ما حدث؟".

وهنا صرخ هشام ممسكاً ذراع أخيه قائلاً: "ماذا تعني؟ أيعني ذلك أني كنت أحلم؟ وماذا حدث لها؟ قل لي بالله عليك ماذا حدث لها، أنا لا أتذكر أى شيء".

أجابه فريد: "حسنًا، أتذكر تلك الحادثة التي تعرضنا لها أنا وأنت وخالد وسلمى؟ فقال هشام: كلا، أنا لا أتذكر أي شيء، فقال فريد: لقد كنا نركب سيارة سلمى، وكنت أنت من يقود السيارة، وكانت تجلس بجوارك سلمى، أما أنا وخالد فكنا في المقعد الخلفي، كنا في منتهى السعادة، لأنه في هذا اليوم كانت ستتم خطبتك على سلمى".

سأله هشام: "أنا وسلمى؟"، فقال فريد: "نعم، لكننا لم ننتبه إلى تلك الشاحنة التي كانت تنطلق بسرعة مخيفة نحونا، وحاولت أنت أن تتفادى الاصطدام بها ولكنك لم تستطع".

قال هشام، وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة: "ثم ماذا حدث؟"، وهنا لم يستطع فريد أن يمنع تلك الدمعة التي ترقرقت في مقلتيه أن تفر منه، ثم قال: "لقد انقلبت بنا السيارة، وتعرضت أنا وخالد لبعض الإصابات السطحية، أما أنت فقد كُسر ذراعك وأصبت ببعض الجروح".

فقال هشام في لهفة: "وسلمى.. ماذا حدث لها؟" وهنا أخذ فريد يبكي، ولم يستطع أن يرد، فأمسك هشام أخاه من كتفيه قائلاً: "قل لي يا فريد... ماذا حدث لها؟" فقال فريد والدموع في عينيه: "لقد ماتت".

سكت هشام قليلاً، ثم قال: "ماتت.. ماتت!!"، ثم انفجر في البكاء، وهنا قال فريد: "هوّن عليك يا أخي... إنها سُنّة

الحياة.. كلنا سنموت في يوم من الأيام"، ولكن هذه الكلمات لم تستطع أن تهون على هشام وقع الفاجعة التي ألمّت به، فأخذ يصرخ ويقول: "لماذا هي وليس أنا... لماذا؟"

فقال فريد: "إنها مشيئة الله يا أخي" فصمت هشام برهةً ثم قال: "أريدك يا أخي أن تصنع لي معروفًا.. وسيكون آخر شيء أطلبه منك".

خرج فريد من عند هشام، وكانت تبدو عليه علامات الحزن الشديد، فقابلته الممرضة عند نهاية الممر المؤدي إلى غرفة هشام، فقالت له: "لا تقلق يا سيدي، سأعتني به جيدًا.. سيكون بخير"، ولكنه لم يلتفت إليها وغادر المستشفى.

وعندما وصل إلى المنزل، قابلته والدته، فسألته في لهفة: "أهلا بك يا فريد، كيف حال هشام اليوم؟"، فلم يرد عليها، وانطلق إلى غرفة هشام، فاستغربت الأم تصرفات ابنها، ولكنها ظنت أن هذا التصرف نتيجة حزنه على أخيه.

وعندما دخل فريد الغرفة وخلع القبعة والجاكت الذي كان يرتديهما، لم يكن فريد هذا سوى هشام... هشام الذى طلب من أخيه فريد في المستشفى أن يبدلا ملابسهما، حتى يستطيع هشام أن يغادر المستشفى ليقوم بشيء أخير، وكان يغطي بالقبعة نصف وجهه، كما كان الجاكت يغطي نصف وجهه

الآخر، حتى لا تتعرّف عليه الممرضة أو والدته، وعندما دخـــل غرفته، ارتدى البدلة التي كان يرتديها عندما تعرف إلى سلمى، وكان يحتفظ بها منذ ذلك الوقت نظيفة، جميلـــة فى دولابـــه، فارتداها بسرعة وخرج مسرعًا من المترل.

ركب هشام سيارة ثم نزل فى مكان ما، ثم أخذ يسير حـــتى وصل إلى المكان الذى دُفنت فيه سلمى... وهناك وقف أمـــام قبرها، وقال لها: "أنا لا أعلم كيف حدث هذا أو لماذا؟.. كان من المفترض ألا يحدث كل هذا"، ثم سكت برهة وقال: "كان يجب أن أُصاب أنا فى هذه الحادثة أو أموت أنا وليس أنت".

ثم قال: "أنا أعلم إنك تسمعيني، كيـــف تتـــركيني وأنـــا أحبك... أنا مازلت وسأظل أحبك للأبـــد"، ثم أســـتطرد في كلامه والدموع فى عينيه: "أتذكرين ذلك اليوم الذى تواعـــدنا فيه أن نبقى معًا إلى الأبد؟ حينها سألتك: هل ســـتبقين معـــي للأبد؟ فقلت لي: "نعم ولن يفرقنا إلا الموت.. ها هو قد فـــرّق بيننا يا حبيبتي... أتذكرين أحلامنا الجميلة؟"

ثم ابتسم ابتسامة حزينة، وقال: "أتذكرين ذلك اليوم الذى صدمتني فيه سيارتك، كلما تذكرت فزعك وخوفك علـــيّ فى تلك اللحظة، وكلما تذكرت عدم مبالاتي لما حدث لي حينها، أظل أضحك".

سكت قليلاً، فقال: "أتذكرين تلك الأيام التي كنا نعود فيها من الجامعة معًا، وكنت أسير معك حتى نصل إلى منزلك وتتركيني... كلما تركتني ودخلتِ منزلك، كنت أشعر بالوحدة.. ثم أحاول أن أصبر نفسي وأقول: لا تقلق فسوف تراها غدًا.... ولكني لن أراك بعد الآن يا سلمى... لن أراك أبداً... كلا سأراك دومًا، لن تفارقي قلبي أبدًا، حتى في أحلامي".

ثم بكى وقال: "سلمى.. أنا لا أعرف ماذا أقول... أنا عاجز عن الكلام.... إني أفتقدك بشدة".

وفى تلك اللحظة ظهر فريد ومعه دكتور صبري وبعض الممرضين الذين اقتربوا من هشام، وهنا صاح دكتور صبري: "تعالى يا هشام، لا تخف.. نحن كلنا هنا من أجلك".

فلم يتحرك هشام، أو ربما عجز عن الحركة... وظل واقفًا حتى أحاط به الممرضون وأمسكوا به، وهنا لم تستطع قدماه أن تحملانه، فوقع على الأرض مستجيبًا لغيبوبة عميقة.

## ٨

سأل فريد: "هل سيستيقظ الآن يا دكتــور صــبري؟" رد دكتور صبري: "نعم".

فقالت له والدة فريد: "هل سيكون بخير يا دكتور؟"، قــال دكتور صبري: "هذا يعتمد عليه وعلى مدى تقبله للواقع".

أما هشام فكان ممددًا أمامهم على الفراش، كــان يــشعر خلال تلك الفترة وكأن سحابة من الغمام تزول من أمام عينيه، حتى استطاع أن يفتح عينيه، وهنا قال فريــد: "الحمــد لله... الحمد لله"، فسأله هشام: "أين أنا؟.. وماذا أفعل هنا؟"

وفى تلك اللحظة، دخل عبد الجواد الغرفة، فنظر إليه هشام وهو يقول: "أنا أعرفك"، ثم نظر إلى دكتور صــبري وقــال: "وأنت أيضًا، لقد رأيتك من قبل... أنت دكتور صبري، أليس كذلك؟ أين أنا؟ وماذا أفعل هنا؟".

فقال دكتور صبري: "اهدأ يا هشام، ستفهم كل شيء"، ثم طلب من فريد ووالدته وخالد أن يغادروا الحجــرة"، ثم قــال لهشام: "أنا أعرف أن هذا سيكون صعبًا عليك يا هشام، ولكن استمع إليّ جيدًا... أنت هنا فى مستشفى الأمراض العــصبية، وأنا الدكتور المشرف عليك، لقد تدهورت حالتك النفسية بعد الحادثة".

فقاطعه هشام في غضب قائلا: "أعلم كل هذا الكــلام... ولكن ما فائدة وجودي هنا، إنه عديم الجدوى... أو ما فائــدة شفائي، هل سترجع سلمى إلى الحياة؟"

ابتسم دكتور صبري ابتسامة غامضة، وقال لهشام: "ومــن قال إنها ماتت؟"

وهنا صرخ هشام من شدة الانفعال: "هل تعــني أنهــا لم تمت.. حمدًا لله.. إذاً ماذا كان هذا، هل كان كابوسًا؟ قــل لي بالله عليك".

قال دكتور صبري: "إهدأ يا بني، سأروى لك ما حدث"،

ثم قال: "كل ما مر بك من أحداث لم يكن إلا حلمًا، عــشته بعقلك... كل شيء.. إلا شيئًا واحدًا"، فقال هشام فى لهفــة: "وما هو؟"، فنظر دكتور صبري إلى الكرسي المتحرك الــذى كان فى نهاية الغرفة، وقال لهشام: "هذا".

وهنا نظر إليه هــشام، ثم نظــر إلى قدميــه، وحــاول أن يحركهما، فلم يستطع، فصرخ وقال: "يا إلهي! يا إلهــي!"، ثم نظر إلى دكتور صبري، وقال: "أنا لا أفهم أي شيء يا سيدي، أهذا أيضًا كابوس آخــر أم لا؟" فقــال الــدكتور صــبري: "للأسف، إن هذا ليس كابوسًا، إنه الواقع، سأقول لك كــل شيء" ثم استطرد قائلاً: "بعد أن تعرفت أنت إلى سلمى بعدما

صدمتك بسيارتها وبعد فترة من الزمن، جاء ذلك اليوم الــذي كنت تقود أنت سيارتها، وكان معك فى السيارة سلمى وفريد وخالد، وحدثت لكم حادثة، وكنت أنت أكثر المتــضررين فى هذه الحادثة، فقد فقدت فيها القدرة على السير".

سكت برهة، فقال: "وبعد تلك الحادثة، انهارت حالتــك النفسية، وأصبحت تتخيل أشياء ليست فى الواقــع، مثــل أن أخاك أصبح يكرهك ويضيق برعايته لك... وتخيلت أن سلمى تركتك من أجل خالد، وهنا أخبرتنا سلمى بحالتــك النفــسية فقمنا بما حدث لك"، فسأله هشام: "ماذا تقصد؟"

أجابه عبد الجواد الذى لم يغادر الحجرة: "أتذكر ذلك اليوم الذى دخلت فيه منزلك ومعي بعض الرجال، وكنــت أنــت ممسكًا مسدسك تحاول الانتحار، ثم طلبت أنا من ســلمى أن تتركنا؟"

رد هشام: "نعم، أتذكر ذلك"، فقــال عبــد الجــواد: "ثم حاولت أنت أن تطلق على نفسك النار، ولكني كنت أســرع منك، فأطلقت عليك رصاصة من نوع خــاص.. رصاصــة جعلتك تفقد الوعي".

ثم قال دكتور صبري: "وهنا جاء دوري"، ســأله هــشام: "دورك؟ ماذا تعني؟".

فقال دكتور صبري: "مشكلتك يا هشام، هي جزعك الشديد وعدم قدرتك على مواجهة المشاكل، وعدم تحملك لهذا المصاب الشديد الذي ألمَّ بك، وهذا أدى إلى تدهور حالتك النفسية".

ثم سكت برهةً، وقال: "وعلاجك من تلك المشكلة، هو أن تعلم ماذا كان من الممكن أن يحدث لك و لم يحدث، ربما تتحسن حالتك الصحية، فمثلا بدلاً من أن تتعرف إلى سلمى من خلال تصادم سيارتها بك، كان من الممكن أن يصطدم فريد بسيارة ويموت، وبدلاً من أن تصدمك سلمى بسيارتها وتحبك، تصطدم بخالد وتحبه هو، وبدلاً من أن تُصاب أنت بعجز في قدميك، تموت سلمى في حادث السيارة الأخير".

فقال هشام: "ولكني شعرت بأني عشت كل تلك الأحلام، فكيف ذلك؟"، أجابه دكتور صبري: "كان هذا عن طريق البرنامج العلاجي الذى خضعت له، واستطعنا أن نغذي عقلك بهذا الحلم الطويل الذي عشت فيه لحظات موت فريد، ولحظات خطوبة خالد لسلمى، ولحظات موت سلمى".

أردف هشام: "إذن كل هذا مجرد حلم"، فقال دكتور صبري: "نعم يا بني".

فظل هشام صامتاً فترة، ثم قال: "إذن متى سأعود إلى المترل؟" فقال دكتور صبري: "يمكنك العودة من الآن يا بني".

وهنا دخل فريد ووالدته وخالد الغرفة، ثم اصطحبوا هشام إلى المترل وهو على الكرسي المتحرك، ظل هشام خلال الطريق صامتاً، مكتئبًا، وما إن وصل إلى المترل، ودخل غرفته، حتى طلب من أخيه ووالدته ألا يُدخلا عليه أحدًا، وبات ليلته حزيناً، يفكر فى كل ما حدث، وما قاله دكتور صبري له.

وفى الصباح، أخذت سلمى تطرق باب غرفته، فسمح لها بالدخول، فوجدته جالسًا على الكرسي المتحرك فاتحًا النافذة، ينظر إلى السماء، فاقتربت منه ثم وضعت يدها على كتفه وقالت: "حمدًا لله على سلامتك يا هشام، أرجوك لا تتركنا، نحن كلنا نحبك.. أنا أحبك يا هشام".

وهنا نظر إليها هشام، وقال: "وأنا أيضًا أحبك يا سلمى... أنا أحبكم جميعًا".

ثم نظر إلى الشمس، وابتسم وقال: الحمد لله.


وداعًا

"السادة الركاب، الرجاء ربط أحزمة المقاعد"

لم أكن أتخيل في يوم من الأيام أني سأسمع هذه الجملة في الحقيقة وليس في التليفزيون، شعور غريب عندما تبدأ تخطو أول خطوات أحلامك، شعور بالفرحة والأمل في غدٍ أفضل يتمازج معه شعور بالخوف والرهبة من الفشل.

أنظر من النافذة التي على يميني، العديد من المشاعر تتراءى لي..

أرى البيوت تبدأ في التصاغر شيئًا فشيئًا، تلك البيوت التي احتوت آلامي و أفراحي ..

الشوارع التي شهدت أيام طفولتي وشبابي، أصبحت تبدو أضيق مما كانت عليه ...

أخذت أعبث في حقيبتي لأجد فيها ما يلهيني عـــن تلـــك المشاعر، عجبًا .. إني أرى مذكراتي التي كنت أدونها منذ زمن ليس ببعيد.

من أين سأبدأ في مذكراتي، سأغمض عـــيني وأختـــار أي صفحة منها، ثم أقرؤها ..

***

قال أحمد بهاء: "هيا بنا يا مظفر.. سنتأخر علـــى المطـــار". فنظرت إلى مظفر فوجدته أمام منزله يودّع أصدقائه الذين لـــن يذهبوا معنا إلى المطار ليودّعوه هناك، كنت أنـــا جالـــساً في الكرسي الخلفي لسيارة أحمد بهاء، أما عبد الرحمن فكان يجلس بجوار أحمد، لأنه الوحيد بيننا -كما قال أحمد- الذي يعـــرف طريق المطار.

أما مظفر فكان في عالم ثانٍ، فكـــان يـــودّع أصـــدقاءه.. ينظرون إليه.. لا يعلمون هل سيرونه مرةً ثانيةً أم لا.. يعانقونه ولا يريدون أن يتركوه.. تتبادله الأيـــدي بالـــسلام.. تحملـــه الأنظار من شخص إلى شخص.. لم أستطع أن أتخيـــل أبـــداً شعوره لحظتها.. لحظة الوداع.

نزعني أحمد من تفكيري بقوله: "استدع مظفر حتى لا يتأخر على المطار"، فناديت عليه وما هـــي إلا لحظـــات إلا وكـــان

بجواري داخل السيارة، وكان هناك بعض أصدقائه الآخــرين الذين أرادوا أن يودّعوه في المطار، فركبوا سيارة أخرى لتقلهم إلى هناك، ثم تحركت السيارة التي تضمنا نحن الأربعة: أحمــد، عبد الرحمن، مظفر وأنا.

سألت أحمد: "ما المسافة التي تفصلنا عن المطار؟"، فقال لي: "نحو نصف ساعة.. ياه.. نصف ساعة".. يا لهــا مــن مــدة قصيرة.

فأخذت أفكر ماذا أقول.. عما أتحدث.. ماذا أقول لمظفــر خلال هذه المدة.. لم أشعر بأي رغبة في الكلام بعد أن رأيــت تلك النظرة في عيني مظفر.. كان ينظر إلى الطريق من النافــذة المجاورة له، أحسست وكأنه يهمس له.. يودّعه بعقله.. يقبّلــه بعينيه، تتصارع بينهما التساؤلات.. هل سيراه مرة أخرى؟ لماذا تغادر؟ وتتقاذفهما المشاعر، يتحاوران بدون كلام، يتهامــسان في صمت: سأشتاق إليك كثيراً.

فظللت في مكاني ساكتاً أفكر.. أســترجع الــذكريات.. كيف تعرّفت على مظفر.. لقد تعرّفت عليــه في الكليــة، لا أدري متى ولا كيف.. ولكن ما أعرفه هو أننا لم نكن أصدقاء بمعنى الكلمة في البداية، كنا نعرف وجوه تبعــضنا الــبعض، نعرف أسماءنا.. ولكن لم تكتمل صداقتنا إلا في الجولة الأخيرة من رحلتنا الدراسية.

مازال ذلك الصداع ينتابني عند القراءة داخـــل أى شـــيء يتحرك، فتوقفت قليلاً عن القراءة وأغمضت عيني للحظـــات أسترجع الماضي.

أتذكر تلك الأيام والليالي التي مكثتها ببلدي، شعرت وكأن كل تلك السنين لم تكن غير لحظات.

استرجعت اليوم السابق لرحلتي حيـــث ودعـــت أقـــاربي وأصدقائي .. تذكرت اليوم قبل رحيلي من بيتي .. تـــذكّرت وداعي لأهلي، كنت أشبه بالمايسترو الذي تعلـــو الابتـــسامة وجهه ولكن موسيقاه تذرف الدمع.

لا .. أنا لا أريد أن أتذكر تلك اللحظات الحزينة، سأكمل القراءة ..

****

ثم انتابتني أسئلة عديدة، لمـــاذا؟ لمـــاذا يـــسافر مظفـــر؟، فتصارعت الأسئلة والإجابات على الكلام وانقسمت نفـــسي إلى نفسين، تقول إحداهما للأخرى: ألا تعلمين أنه ذاهـــب إلى بلده كي يعيش ويحقق حلمه هناك؟ فترد الأخرى: وهل لابـــد وأن يسافر؟..هل؟

ظل هذا السؤال يحيّرني، يأتيني من اليمين واليسار، يلفحـــني بنيرانه، فلقد ناشدناه كلنا -أنا وأصدقاؤه- ألا يسافر، ولكنـــه كان دومًا متمسكًا بهدفه وبحلمه.

وما زادني حيرة هو طقس اليوم، لقد كان الجو في هذا اليوم غريبًا، ممطرًا، حارًا، رياحًا وهواؤه ساخن!!

لماذا شعرت بأن الجو كان يتلقى مثل تلك الصفعات التي تلقيتها من ذلك السؤال، لماذا يسافر؟ لماذا شعرت بأن المطر، يبكي على فراق صديقي المسافر.. لماذا شعرت بأن الرياح الساخنة تنبعث من آهات قلبه المفعم بالألم.

واشتدت الرياح مع انطلاق السيارة السريع.. وفجأة شعرت بالخيانة.. شعرت بخيانة تلك الرياح لمشاعري، لماذا تجري بتلك السرعة.. لماذا تذهب بنا إلى أفظع مكان في نظري.. إلى المطار.

وانتشلني من أفكاري ما قاله عبد الرحمن لأحمد: "سوف تصعد فوق ذلك الكوبري، وتسير باستقامة".

فنظرت إلى الساعة.. يا إلهي ماذا أرى.. لقد اقتربت النصف ساعة من النهاية، لو كان أينشتاين حيًا بيننا لكنت وبخته، فقد اكتشفت في تلك اللحظة فشل نظريته النسبية، حيث إنه كان يقول أن الأوقات السعيدة تمر بنا مر الرياح، أما الأوقات الصعبة فتمر مر الجبال.

لا.. وكيف هذا؟.. إذا كان هذا صحيحًا، فما بال تلك النصف ساعة تكاد تنتهي وهي من أصعب وأحزن اللحظات إلى نفسي.

إنني مؤمن بأن للساعة شقين، شق السعادة وشق الحـــزن، وأعلم بأن عدوي هو شق الحزن، الذي أحاول أن أنتصر عليه، ولكنه يهزمني دائماً بسيره البطيء ومشيه العاجز المريض.

ولكن اليوم أرى هذين الـــشقين يتـــصارعان ليهزمـــاني.. ليحطماني، إنهما يهرولان.. يجريان.. أيهما يـــسبق الآخـــر.. أيهما يلتقط فريسته أولاً.. إنهما يقتربان مني.. أشتم رائحتهما البغيضة.. يوقعاني أرضًا.. يمزّقان أحشائي.. يلتقطـــان قلـــبي ويمضغانه.. يحتسيان دماء أحزاني فيسكران، ويمعنان في قتلـــي وتعذيبي!

و لم يترعهما عني إلا قول أحمد: "أي مدخل سندخل منـــه الآن؟" حيث كنا أمام مدخلين، أحدهما يؤدي إلى المطار الجديد والآخر إلى القديم، وطائرة مظفر تنطلق من المطار القـــديم، و لم نكن نعلم أي الطريقين نسلك، فنظر أحمد إلى عبـــد الـــرحمن وقال: أيهما يا عبد الرحمن؟ وكان عبد الرحمن في حيرة مـــن أمره.. مترددًا.. لا يعلم بالتحديد أيهما الصواب.

و لم يطل تردد عبد الرحمن كثيرًا، فاختار أحـــد الطـــريقين ولكننا سلكنا الطريق الخطأ، فشعرت بالسعادة لأن اللحظـــات التي أمكثها مع مظفر قد طالت، ثم دخلنا المدخل الآخر، وظهر في الأفق مشهد المطار القديم، فأخذ قلبي يجري خلـــف تلـــك الدقائق المتبقية من دخولنا المطار.. يحاول أن يلحق بها أو يثنيها

عن عزمها بأن تقتلني.. ولكنه لم يستطع، وأوقف أحمد السيارة أمام المطار، فتوقف قلبي عن الخفقان، لا أدري لماذا... ربما لأنه علم أنه لا فائدة من الجري.. أو ربما توقف من لدغة هذا العقرب اللعين.. عقرب الدقائق.

كنت حريصًا جدًا أن أحمل حقائبه بنفسي وأضعها على تلك العربة وأدفعها نحو مدخل المطار، فأخذت مشاعري تجتاحني ثانية.. يا إلهي ماذا أفعل؟.. أقوم بدفع تلك العربة، وأنا مازلت حزينًا على فراق مظفر لنا.. كيف هذا؟ وكأن العربة قد أحست بما يعتمل في نفسي من مشاعر متناقضة.. فكانت تهتز في يدي، تارة يمينًا وأخرى يسارًا.

طالب مظفر أصدقاءه بأخذ صور تذكارية معه قبل أن يسافر، فاختلفوا أيهم يصوّرهم.. فأخذوا يقذفون بالكاميرا لبعضهم البعض، فأسرعت وأخذت الكاميرا وأخبرتهم بأني سأصوّرهم، مع علمي بأني لن أظهر في تلك الصورة، إلا أنني كنت مصرًا على أن أُصوّرهم، ربما حتى لا أتذكر هذا اليوم.. حتى لا أتذكر هذا الإثم.. إثمي بمصاحبته إلى المطار الذي سيفرّقنا، هممت بالتقاط الصورة، وطلبت منهم أن يبتسموا، ولكن هيهات.. من أين يأتون بتلك الابتسامة.. ابتسامة حزينة

يجرونها جرًا من طيات ماضيهم، فقد نسوا ما هي الابتسامة.. ولكنها أبت أن تطيعهم، فأجبروها وأخذوها عنوة فألصقوها على شفاههم.. وعندئذٍ التقطت الصورة.

ثم أدرك مظفر بأنني لم أُصور معه، فطلب أن تُلتقط صورة وأكون فيها بجواره، فأخذ الكاميرا أحمد بهاء، استغرق ثواني حتى يلتقط الصورة.. ووقفت بجوار مظفر وحولنا أصدقاؤه، وحاولت أن أستعد لكي تظهر الصورة جميلة، وفعلت مثلما فعلوا من قبل.. حاولت تصنّع الابتسامة، فأخذت أبحث فى صفحات الماضي عن ابتسامة والوقت يداهمني، فأحمد سيلتقط الصورة.. وهكذا أنا دائمًا فى عداء مستمر مع الوقت.

بحثت كثيرًا ولكن لم أتذكر أي شيء من الماضي.. لقد توقف بي الزمن عند تلك اللحظة، لم أستطع أن أرجع إلى الوراء، يا إلهي!.. لقد نسيت الابتسامة.. ماذا سأفعل؟ فنظرت بسرعة إلى وجوه من حولي أسترق منهم مشهد ابتسامة، لأرسم ملامحها على وجهي، ونجحت، ثم التقطت الصورة.

ثم وقف مظفر معنا يتحدث مع هذا وذاك قبل أن يدخل إلى المطار، كانت هذه الدقائق من أصعب الدقائق على نفسي على الإطلاق، أرى فى ثنايا وجوه من حولي الحزن مهما تظاهروا بالابتسام.. نعم أراه.. أراه ينسال من وجوههم .

مرت من فوقنا طائرة، وتخيلت أن مظفر سيركب طـــائرة مثلها بعد قليل.. أنا لا أتخيل أني أستطيع أن أرحل هكذا بعيدًا عن كل أهلي وأصدقائي.

ثم قال مظفر يجب أن أدخل الآن إلى المطار حتى لا أتـــأخر، فدخلنا معه ومشينا حتى وصلنا أمام بوابة الدخول..

لقد حانت لحظة الوداع ...

ماذا ؟ أنا لم أرد أن أسافر؟ وكيف هذا؟ ومن هذا الذي لا يريد السفر الآن؟

ربما لم أكن قد تصارعت بعد مع الواقع المرير الذي عاصرته بعد تخرجي من الجامعة واحتكاكي بالعمل والحياة.

إني أنظر الآن إلى نفسي منذ عامين عندما كنـــت أُودعـــه وأحلامي كعالم مثالي شريف ترفرف داخل عقلي.

لم أكن أتوقع أن يأتي اليوم الذي سأكون فيه مكان مظفر، بالطبع مع الاختلاف.

فأنا مسافر إلى بلد، ومظفر سافر إلى بلد أخـــرى، وغـــيره الكثير من أصدقائي قد سافروا.

وكأني أحس أن بلادنا طاردة لنا .. والأغرب أن يُقال على بلادنا أنها "أم الدنيا"!

فالأولى بالأم أن تحمي وتحافظ على أولادها، ولا تتـــركهم وتطردهم إلى غيبيات بلاد أخرى الله وحده أعلم بما ســـيرونه هناك!

لقد أصبح العيش هنا وسيلة لقتل الأحلام والآمال، لابد أن أسافر، ليس من أجل المال، ولكن .. من أجل أن أشعر بـــأني مازلت إنسانًا.

من أجل الحلم ..

ولكن الغريب أني مازلت أشعر بالحب لتلك الــبلاد الـــتي تسمى بلادي .. ولكني اخترت الرحيل.

أنا لا أود التفكير مرة أخرى، ففتحت مذكراتي مرة ثانيـــة وأكملت قراءتي.

***

وقف مظفر ينظر إلينا فى حيرة والكل يبتعد عنـــه.. الكـــل يريد أن يكون آخر من يسلّم عليه، ليؤخر تلـــك اللحظـــة .. لحظة الوداع.

أما أنا فلم أستطع أن أتحرك، شـــلّني تفكـــيري.. خـــانتني قدماي، مازلت لا أصدق أنه سيسافر .. ما أصـــعب فـــراق الأصدقاء!

وظللنا هكذا لم يُقبل عليه أحد، حتى تحرك أشجعنا.. أحمد بهاء.. وذهب لمظفر وسلّم عليه، وجاء دور الثاني، وبالصدفة كنت أنا أقرب الأشخاص إلى مظفر.

ماذا أفعل؟ أنا لا أعرف كيف أودّعه، لم أقف في هذا الموقف من قبل، لقد تشتتت أفكاري في متاهات مشاعري، فلم أعد أدري إلى أين أذهب ولا كيف سيقودني لساني!

وفجأة قال أحمد بهاء: "هيا يا شباب لتودّعوا مظفر"، فتوجهت نحو مظفر وعانقته.. لا أتذكر إذا كنت قد قلت له شيئًا أم لا.. ولا أتذكر أيضًا إذا كان قد قال لي شيئًا أم لا، ولكن ما أتذكره هو أنني لم أبكِ.. نعم لم أبكِ، فأنا في صراع مع عيني منذ الأبد، ما أكثر الغارات التي قمت بها لأسر سباياها، لأنتزع تلك اللآلئ من خلف الأسوار.. تلك الدموع الهاربة دومًا مني.

لم أنجح أبدًا في تلك اللحظة.. رجوت عينيّ.. جثوت على ركبتي وقاسمتها بألا تبخل عليّ بتلك الدموع، ولكنها أبت في شموخ وكبرياء وتركتني نادمًا، عاجزًا على أرض الأحزان.

فأسرعت مهرولاً إلى عقلي، فهو الذي يرسل تلك الإشارات إلى عينيّ كي تجودا بتلك الدموع، ناديته.. أيقظته.. لا يريد أن يعمل.. يعلم مقصدي.. يعرف مُرادي.. يتظاهر

بالنوم وأنا أعلم أنه ليس بنائم.. أشعر به.. أسمع همساته.. ما هذا؟.. إنه يحترق .. فها هي آهاته وصراخه.. فتركته رغمًا عني.. فليس بيدي شيء لأفعله من أجله.. ثم تركني مظفر... وأخذ يودّع أصدقاءه.. وعندئذٍ شعرت بشيء من المواساة، فقد فعلوا مثلي.. و لم يبكوا.

تركنا مظفر ودخل من البوابة فأخذت أقول لنفسي: وداعًا يا صديقي ... وداعًا.

***

مازلت أتذكر دموع أختي ووالدتي اليوم عند رحيلي ..

مازلت أتذكر عناقي لإخوتي عند الوداع ..

هل سأرى تلك البلاد مرة أخرى؟

هل سأحقق حلمي .. هل؟

أغلقت مذكراتي وأغمضت عيني .. وهمست بداخلي في أمل: "وداعاً يا بلادي .. وداعاً يا أصدقائي وأهلي ... وداعاً".


حلم

١

"عمار محمود... إنه رجل خيالي، وأحيانًا أشـــعر بأنـــه لا يعيش على نفس الكوكب الذى نعيش فيه"، هذا مـــا قالتـــه الآنسة مي، أما مدام حمزة قدري فقالت: "إنه رجل مـــريض، وأعتقد أن أفضل مكان له هو مستشفى الأمـــراض العقليـــة"، وهنا قاطعها زوجها وقال: "لا تظلمي الرجل هكـــذا.. ربمـــا يكون على حق".

أما الأستاذ سعيد جار عمار فقال: "لقد قلـــت مـــرارًا أن الحادثة التي تعرّض لها عمار مازالت تؤثر على تفكيره وآرائه". أما الآنسة هدى فقالت: "لا أعلم لماذا يضطهدون هذا الرجل، هل لأنه فكّر أم لماذا!.. أنا شخصيًا أؤيده تماما"، أما الطفلـــة

سارة فقالت: "إنه رجل ودود جدًا، أنا أسكن بجواره، وكلما رآني يبتسم لي ويداعبني.. إنه رجل لطيف".

وهنا سكت ماجد فهمي المحرر الصحفي بجريدة "المستقبل"بمدينة الفيروز، ثم قال لرئيسه السيد عدلي: "هذه بعض الآراء التي جمعتها عن السيد عمار محمود"، فقال له السيد عدلي: "جيد جدًا، لقد قمت بعمل رائع.. فلابد أن نكتب عن هذا الرجل بعد ما أثاره من ضجة مؤخرًا".

فقال له ماجد فهمي: "وأنت يا سيدي ما رأيك؟".

أجابه السيد عدلي ضاحكًا: "ما هذا يا ماجد، هل ستكتب رأيي أنا أيضًا؟" فابتسم له ماجد وقال: "كلا يا سيدى، ولكنى أريد فقط أن أعرف رأيك عنه".

فقال له السيد عدلي: "حسنًا.. أنا أعتقد أن هذا الرجل مجنون، وأننا تمادينا كثيرًا في تقديره وإعطائه الفرصة للحديث عن هذه الأفكار المجنونة التي يتحدث عنها، وأنا أتفق مع مدام حمزة قدري في ذلك، وهو أن أفضل مكان لعمار محمود هو مستشفى الأمراض العقلية"، ثم سكت ونظر إلى ماجد قائلاً له: "وأنت يا ماجد، ما رأيك؟"

فقال ماجد: "لا أعلم يا سيدي.. أحيانًا أريد أن أصدّقه.. وأحيانًا أخاف من آرائه"، ثم صمت وظل يفكر، واسترجع بذهنه الأحداث منذ البداية.

## ٢

عمار محمود رجل بسيط جدًا، مهذب، محترم ومبتسم دائمًا، يعمل في مجال الإعلان بشركة من الشركات الكبرى بمدينة الفيروز، يملك كل عوامل الاستقرار، من وظيفة جيدة، وزوجة جميلة، وهي السيدة جميلة إبراهيم، ولديه طفلة كالقمر في سن العاشرة وهي نسمة.

استيقظ عمار محمود من نومه كعادته مبكرًا، وبعد أن ارتدى ملابسه، نادته جميلة قائلة: "هيا يا عمار إلى الإفطار"، ثم جلس الأب والأم وابنتهما على مائدة الطعام، وأخذ عمار يتناول الإفطار هو ونسمة، أما جميلة فلم تأكل وأخذت تنظر إلى عمار.. فتوقف عن الأكل وسألها: "لماذا لا تأكلين؟"، فأجابته: "أم تنس شيئًا؟" فقال لها: "لا أعتقد هذا"، فقالت له: "تذكر جيدًا"، فأخذ يفكر ثم أردف في حيرة: "لا أعتقد أني نسيت أي شيء، ماذا هناك يا عزيزتي؟"، فأردفت: "ألا يذكرك هذا اليوم بشيء ما؟".

وهنا قال عمار: "آه يا عزيزتي، أنا آسف جداً، لا أدري كيف نسيت ذلك، كيف أنسى ذكرى يوم زواجنا؟" فقالت له: "لا عليك يا عزيزي، أنا أعلم مدى انشغالك"، وهنا قال عمار: "يجب أن نحتفل اليوم بهذه المناسبة، سنذهب للعشاء اليوم في أي مكان جميل".

ثم قال لنسمة: "هيا يا صغيرتي، سأصطحبك إلى المدرسة"، فقالت له: "لن أذهب إلى المدرسة إلا إذا وعدتني"، فسألها في دهشة: "بماذا؟"، أجابته: "أن آتي معكما الليلة".

فابتسم قائلا: "ولكنك يجب أن تنامي مبكراً"، فقالت له: "أرجوك يا أبي".

فنظر إلى جميلة ثم ابتسم وقال لنسمة: "حسناً يا بنيتي.. ستأتين معنا، أنت مثل والدتك عنيدة"، وأخذ يضحك وخرج الاثنان.

وفي الطريق، قالت نسمة لوالدها: "أنا سعيدة جداً لأني سآتي معكما الليلة يا والدي"، فقال لها: "وأنا كذلك يا بنيتي"، ثم بعدما وصلا إلى باب المدرسة قال لها: "أنا أحبك يا نسمة"، فقبّلته وقالت له: "وأنا أيضا يا أبي"، ثم تركها وذهب إلى العمل.

وفي مكتب عمار، دخلت عليه سكرتيرته مدام وفاء بدير، وقالت له: "صباح الخير يا سيدي، هذا اليوم مليئ بالأعمال الشاقة لك، فهناك اجتماع مجلس الإدارة اليوم، وهناك مقابلة مع مدير شركة سمارتر للإعلان، وهناك.. "وهنا قاطعها عمار قائلاً: "أريد أن أشتري هدية، فماذا أشتري؟".

أجابته: "هذا يعتمد على نوعية المناسبة ولمن"، فقال: "إنه ذكرى يوم زواجي بجميلة"، ابتسمت قائلة: "هناك متجر

للهدايا الثمينة افتتح مؤخرًا خلف الشركة "، فقال لها: "حسنًا.. سأشتري منه بعد العمل بإذن الله "، ثم قال لها: "شكرًا لك يا مدام وفاء، اتركي هذه الأوراق، يمكنك الانصراف الآن" ثم نظر من نافذة مكتبه إلى الشمس بنورها البرتقالي وقال: "يا له من صباح جميل".

وفى المساء، خرج الأب والأم وطفلتهما، وذهبوا إلى أحد المطاعم الفاخرة، وبعدما تناولوا العشاء، أخرج عمار من جيبه هدية وقال لجميلة: "كل عام وأنت بخير يا حبيبتي"، فقالت له: "وأنت بخير يا حبيبي، شكرًا لك على هذه الهدية"، ثم أخرجت هى الأخرى هدية وقالت له: "لقد سبقتني فى تقديم الهدايا"، فقال لها: "أنتِ أيضاً أحضرت لى هدية؟" فقالت لـه: "نعم" فقال لها: "إذن فلنفتح الهدايا الآن".

ففتحت جميلة هديتها وقالت: "يا إلهي!"، فسألها عمار: "ماذا؟ ألم تعجبك الهدية؟"، فقالت له: "افتح هديتك"، ففتح هديته فقال: "يا إلهي! لم أكن أعلم أنك ستحضرين لي نفس الهدية التي أحضرتها لك"، فابتسمت جميلة قائلة: "يا لها من صدفة غريبة، لقد أردت أن أشتري لك خاتمًا منقوشًا عليه أول حرف من اسمك وأول حرف من اسمي و كلمة "للأبد"، فقال لها عمار: "هذا بالضبط ما أردت أن أحضره لك"، ثم سكت قليلاً وقال لها: "أنا أحبك يا حبيبتي، وسنظل معًا للأبد"، فقالت له: "وسأظل أحبك للأبد".

وهنا قالت نسمة: "أبي، أمي.. أريد أن أعرف كيف تقابلتما؟" فنظر إليها والدها وقال: "إنها قصة طويلة يا نسمة"، فقالت له: "أرجوك يا أبي".

فقال لها: "حسنًا.. سأروي لك ما حدث"، ثم رجع بذهنه إلى الماضي وأخذ يتذكر...

بعد أن ترك عمار وظيفته السابقة، أخذ يبحث عن وظيفة، وبالفعل وجد وظيفة شاغرة فى إحدى الشركات، وهناك جلس أمام مدير الشركة فى المقابلة، وكان مدير الشركة يسأل عمار بعض الأسئلة المعتادة مثل تخصصه وخبرته وما إلى ذلك، حتى طرقت عليه سكرتيرته الباب ودخلت، وقالت لمدير الشركة: "لقد طلبت مني أن أحضر هذه الملفات يا سيدي"، فقال لها: "شكرًا لك، ضعيها هنا على المكتب"، ولم تكن تلك السكرتيرة إلا جميلة، وما إن اقتربت جميلة من مكتب المدير حتى رآها عمار.

لم يكن عمار يؤمن بفلسفة الحب من أول نظرة، وكان يعتقد أن مثل هذا الحب لا يوجد إلا فى الروايات الرومانسية فقط، ولكنه عندما رآها، شعر وكأنه بطل لرواية من تلك الروايات، لقد نسى المكان والزمان.. نسى المدير والشركة والوظيفة، ولم أمامه إلا هي!

"ما المرتب الذى تتوقعه يا سيد عمار؟" انتشله هذا السؤال من بحر الأحلام الذى غرق فيه، ولكنه لم يفق بعد من أحلامه، فكرر المدير السؤال مرة أخرى، فلم ينتبه عمار إلى السؤال ورد وقال: "أي شيء"، ولكنه ندم على هذا الرد بعد ذلك.

وبالفعل عمل عمار فى هذه الشركة بمرتب أقل مما كان يطمح فيه، ولكنه لم يبال بذلك وكان همه الشاغل أن يرى جميلة ويتحدث معها، فكان يختلق الأعذار والأفكار حتى يذهب إلى مكتب جميلة، حتى لاحظت جميلة هذا الاهتمام منه، فقالت له فى مرة من المرات: "ألا ترى إنك تُتعب نفسك بعض الشيء؟" فارتبك عمار وقال: "ماذا تعنين؟"

فقالت له: "إذا أردت أن تتحدث معي فأخبرني بهذا دون أن تختلق الأسباب حتى تأتي إلى مكتبي"، فابتسم وقال: "حسنًا.. هل من الممكن أن نتناول الغذاء معاً؟" فابتسمت وقالت: "حسناً".

فذهبا إلى مطعم، وظل الاثنان فترة ينظران إلى بعضهما ولا يتحدثان.. كانا لا يعلمان ماذا يقولان، حتى تحدث الاثنان فى وقت واحد وقالا: "ماذا تريد أن تأكل؟"، فأخذ الاثنان يضحكان، ثم قال عمار: "لا أعلم ماذا أقول، ولكن ما أريد أن أقوله أني مُعجب بك".

فقالت له جميلة: "بهذه السرعة.. أنا لم أرك إلا منذ ثلاثة أيام فقط"، فقال لها: "لقد أُعجبت بك منذ أول لحظة رأيتك فيها في مكتب المدير"، ثم ابتسم وقال: "بسببك أحصل الآن على مرتب أقل مما كنت أريده"، فقالت له: "لا تختلق الأعذار حتى تتهرب من دفع فاتورة الغداء"، فأخذا يضحكان، ثم قال لها: "هل تعلمين أن لك ابتسامة جميلة"، ثم سكت برهة فقال: "أراكِ لا تتحدثين، هل قلت شيئًا خطأً؟" فابتسمت وقد تشبعت وجنتاها بالحمرة قائلة: "شكرا لك "، ومنذ ذلك اليوم وهما لم يفترقا أبدًا.

انتهى عمار من حديثه، فقالت نسمة: "يا لها من قصة جميلة يا أبي"، ثم نظرت إلى أمها فوجدتها قد أمسكت برأسها فجأة، فقالت نسمة: "ماذا بك يا أمي؟" فسألها عمار في قلق: "أهو نفس الألم الذى ينتابك دوماً؟"

أجابت جميلة: "نعم، نفس الألم "، فقال عمار: "ألم أطلب منك أكثر من مرة أن تذهبي للطبيب؟"، فقالت له: "لا تقلق يا عزيزي.. إن هذا الألم لا ينتابني إلا لحظات قصيرة".

فقال عمار: "كلا، يجب أن نذهب إلى الطبيب الآن"، فأردفت جميلة: "كلا.. ولكني أريد أن أعود إلى المنزل لكي أستريح"، فقال لها: "إذن، هيا بنا".

وبينما تقف جميلة، لم تستطع قدماها أن تحملاها، فوقعت على الأرض.. وهنا صرخت نسمة، وصاح عمار:

"جميلة.. جميلة".

"متى ستفيق يا دكتور؟" كان هذا هو السؤال الذى وجّهه عمار إلى دكتور فؤاد، وكان الاثنان ينظران إلى جميلة من خلال الجدار الزجاجي خارج الغرفة التى كانت تمكث فيها جميلة، فقال دكتور فؤاد: "اليوم أو غدًا على أقصى تقدير"، ثم سكت قليلاً وقال: "لا أريد أن أُخفي عنك مدى خطورة مرض زوجتك".

فقال عمار فى فزع: "ماذا تقصد؟"، فقال دكتور فؤاد: "إن هذا الألم الذى تشعر به زوجتك فى رأسها ليس نتيجة للإرهاق كما قلت لك أمام طفلتك من قبل، ولكنه نتيجة ورم سرطاني منتشر فى رأسها"، فرد عمار فى ألم: "هل تعني أن العلاج لن يجدي، هل تعنى أنها..؟" فقال دكتور فؤاد: "بكل أسف، ليس فى أيدينا أى شيء .. إنها الآن بين يدي الله".

وما هي إلا أيام حتى فارقت جميلة الحياة.

لم يعد عمار ذلك الرجل المرح، خفيف الظل.. بل أصبح صامتًا شاردًا، لا يتحدث إلا نادرًا، حتى أصدقاؤه فى العمل لاحظوا هذا التغيير الشديد الذى طرأ عليه، فكان يدخل مكتبه كل يوم، يقوم بعمله حتى يأتي ميعاد الانصراف، فيخرج بدون أن يتحدث مع أي أحد.

كان يستيقظ كل يوم مبكرًا، ثم يُحضر الطعام ويأكل مع ابنته، ولكن دائمًا ما كان مذاق الطعام الذى يُعده سيئًا، ولكنها كانت تتظاهر بأنه جيد، ثم يذهب بعد ذلك إلى العمل، ثم يعود منه ويصطحبها من مدرستها فى طريق عودته إلى المترل، ويظل طوال الليل حزينًا يفكر.

كان يقضي ليله جالسًا على الأريكة، لا يفعل أي شيء، لا يدري ماذا يفعل.. ثم يُحضر ألبوم الصور ويظل ينظر إلى صوره مع جميلة ونسمة.. ويتذكر تلك الأيام الجميلة، وكلما رأى ابتسامة جميلة يظن أنها تبتسم له، فيبتسم لها، وكان يحتفظ بصورة بجوار فراشه، تلك الصورة التى التقطت في حفل عيد ميلاد نسمة الأخير والتي تجمع ثلاثتهم معًا، ويظل ينظر إليها حتى ينام.

حاول أصدقاؤه أن يخرجوه من تلك الحالة النفسية الصعبة التى أحاطت به، ولكنهم لم يستطيعوا.. حتى ياسين زياد أقرب أصدقائه إليه، حاول أن يكلّمه أكثر من مرة ولكن ما من مجيب، وفى يوم من الأيام، ذهب ياسين إلى عمار فأخذ يطرق عليه الباب، وعندما فتح عمار الباب، ابتسم ياسين وقال: "مساء الخير يا صديقي.. كيف حالك؟"ولكن عمار لم يرد، فسأله ياسين: "ألن تدعوني للدخول؟" فأشار إليه عمار بيده

للدخول، وعندما جلس ياسين، قال: "كيف حالك يا صديقي؟ وكيف حال نسمة؟"، فلم يرد عمار، فقال ياسين: "يجب أن تخرج يا صديقي من حالة الحزن هذه.. لقد مر أكثر من ثلاثة أشهر، وأنت مازلت على هذه الحالة، لا تعتقد أنني لست حزينًا على جميلة.. فجميلة إنسانة نادرة في عالمنا هذا، وفقدانها شيء صعب جدًا، ولكنك يجب أن ترى الدنيا.. يجب أن تعيش".

فقاطعه عمار قائلاً: "لقد ماتت مَن أعيش من أجلها".

فقال ياسين في انفعال: "كلا لم تمت، إنها باقية معك بذكرياتها وأعمالها.. ولا تنس ابنتك نسمة، يجب أن تعيش من أجلها، يجب ألا تُشعرها بفقدانها للأم"، فقال عمار: "أنا أقوم الآن بواجبات الأب والأم، ولا أعتقد أنه ينقصها أي شيء"، فقال ياسين: "كلا، ما ينقصها هو أنت.. أنت يا عمار، فأنت تعيش في عالمك، حبيس جدرانه لا تريد أن تخرج منه.. يجب ألا تُشعر نسمة بأنها فقدت الأب أيضاً".

فنظر إليه عمار وقال: "ماذا تريد مني يا ياسين؟" فأجابه ياسين: "أريدك أن تعود إلى ما كنت عليه، أتذكر تلك الأيام التي كنت تأتي إلينا في المترل أنت وأسرتك، وتظل الأسرتان في سعادة ومرح طوال الليل؟"

وهنا امتلأت عينا عمار بالدموع وقال: "أذكرها.. إنني لم أنسها حتى أذكرها، إنها مازالت معي في كل وقت.. ولن أستطيع قط نسيانها.. أحيانا يخيل إليّ أنها تحدثني عندما أنظر إلى صورها.. إنني أشعر بالضياع، كمن يسير في صحراء ليس بها أي شيء سوى الرمال المحرقة، لا أدرى إلى أين أذهب، أو لماذا أسير".

فقال ياسين في حزن: "إنني لا أريدك أن تنساها، ولكن لو كانت بيننا الآن لم تكن لترضى بأن تكون ما أنت عليه الآن"، ثم أقبل ياسين نحو عمار وقال: "من حقك أن تحيا ثانية.. مازالت الحياة أمامك"، ثم قال: "يجب أن أذهب الآن يا صديقي.. أراك لاحقًا"، وذهب وترك وراءه عمار غارقًا في بحر أفكاره.

ذهب عمار إلى غرفة نسمة، فلما دخل عليها وجدها مازالت مستيقظة في الفراش، فقال لها: "لماذا لم تنامي بعد يا حبيبتي؟" فقالت نسمة: "ليس لدى رغبة في النوم يا أبي"، فجلس بجوارها فسألته: "ما هو الموت يا أبي؟"، فنظر إليها في استغراب قائلاً: "ماذا تعنين؟".

فقالت: "هل انتهت حياة أمي بالموت، أم أنها تعيش حياة أخرى؟" أجابها عمار: "نعم، هناك حياة أخرى بعد الموت..

فهناك الجنة للأخيار، والنار للأشرار، وأملك الآن في الجنة بإذن الله".

فقالت نسمة: "وما هى الجنة؟ أهــو مكــان أجمــل مــن الأرض؟"، فقال: "بالطبع، وهناك حياة أفضل"، فقالت: "أنــا أريد أن أكون معك أنت وأمي فى الجنة"، فقال لها: "بإذن الله سنكون كلنا في الجنة".

ثم قال لها: "سأقرأ لك قصة كي تنامي كما كانت أمــك تفعل"، وبدأ يحكي لها، ولكنها أوقفته وقالت: "إن أســلوبك ليس جيدًا يا أبي"، فابتسم عمار واحتضن نسمة، فقالت: "أنا أحبك يا أبي"، فقال لها: "وأنا أيضاً يا حبيبتي".

وبعد أن نامت نسمة، ذهب إلى غرفتــه وجلــس علــى الفراش.. ثم نظر إلى تلك الصورة التي يحتفظ بها بجوار فراشــه، ثم ابتسم ونام.

٤

كان عمار يمشي في أرض واسعة، مليئة بالزروع الجميلة.. وعلى امتداد بصره، رأى مياه البحر المنعكسة عليهـا أشـعة الشمس الصفراء.

ثم استيقظ عمار من نومه، كان يلتقط أنفاسـه بـصعوبة، وأخذ فترة من الوقت حتى هدأت أنفاسه، ثم أخذ يقول: "يـا إلهي! يا إلهي!.. ما هذا الذى رأيته؟"

وفي الصباح، ذهب إلى العمل.. وعندما دخـل الـشركة فوجئ أصدقاؤه بتلك الابتسامة التي ارتسمت علـى وجهـه، فذهبوا إليه ليسلموا عليه، وكأنه قد عاد من رحلـة بعيـدة، وكان أشد المسرورين بهذا التغير، صديقه ياسين الذى ذهـب إلى مكتب عمار وقال له: "أهلاً يا صديقي العزيز كيف حالك اليوم؟"، فقال له عمار: "بخير والحمد لله، أشعر بتحسن كـبير اليوم ولا أعلم سببه"، فقال ياسين: "أنا سعيد جداً لعودة عمار الذي نعرفه إلينا من جديد".

فقال عمار: "شكراً يا صديقي"، ثم تجهم فجـأة وقـال: "أعتقد أن السبب في حالتي هو ذلك الحلم".

سأل ياسين في دهشة: "حلم؟ ماذا تقصد بكلمة الحلم؟" رد عمار: "إنها كلمه أطلقتها على ما رأيته اليوم أثناء نومي".

"أترى أشياء أثناء نومك؟"

"طوال حياتي، النوم بالنسبة لي ليس إلا فترة من الزمن أغفو فيها حتى أستريح، ولا أرى فيها أي شيء.. مثلي مثل الجميع.. ولكن هذه هي المرة الأولى التي أرى فيها أشياء أثناء نومي"

فقال ياسين: "وهكذا تكون أنت أول إنسان يرى أشياء في أثناء نومه، فلم يحدث أن رأى أحد شيئاً في أثناء نومه قبلك"!

قال عمار: "ليست المشكلة هي أنني رأيت حلماً، ولكن الأغرب هو ما رأيته في هذا الحلم"، وبلهفة سأل ياسين: "ماذا رأيت؟" فرد عمار: "لقد رأيت نفسي أسير على أرض خضراء تحت أشعة الشمس الصفراء.. لم أر في حياتي كلها مثلها، فلا يحيطنا سوى أشعة الشمس البرتقالية التي تبعث في النفس الكآبة، أما الأخرى فقد بعثت في نفسي شعورًا عجيبًا بالراحة والاسترخاء".

أردف ياسين: "يا له من حلم غريب!! ولكنك يجب أن تعلم أن هذا كله لا يمت للواقع بصلة، فليس هناك أشعة شمس صفراء"، فقال عمار: "ولكني أشعر أنه لم يكن حلمًا، ومازلت أشعر به حتى الآن.. مازلت أشعر بالدفء المنبعث من

تلك الأشعة الجميلة"، فقال ياسين: "سأتركك أنـــا الآن مـــع حلمك"، ثم اقترب وربت كتفه وقال: "مرحبًا بعودتـــك يـــا صديقي".

وفى نهاية اليوم ذهب عمار إلى غرفة نسمة، وجلس بجوارها على الفراش ثم قال لها: "سأحكي لك اليوم قصة جديـــدة يـــا بنيتي"، فقالت له: "حسناً، فلنبدأ"، وبدأ يحكي لها... فقاطعتـــه قائلةً: "عجبًا يا أبي.. إن أسلوبك اليوم جميـــل"، فقـــال لهـــا مبتسماً: "لا داعي للمكر، إذا كنت تقـــولين هـــذا كـــي لا أكملها، فلا تفعلي"، فضحكت وقالت له: "كلا، أنت بالفعل أصبحت أفضل".

ثم عاد إلى غرفته سعيداً، لا يعلم لماذا كان فى مثـــل هـــذه الحالة من السعادة، ربما شعر أخيراً بأن هناك ما يستحق الحيـــاة من أجله، ربما الأمل فى حياة أفضل، ثم نظر إلى الصورة بجـــوار فراشه وقبّلها ثم غرق فى سبات عميق.

استيقظ عمار من النوم وهو يأخذ أنفاسه بصعوبة، كـــان يتصبب عرقاً، فالتقط سماعة الهاتف وأتصل بياسين ثم قال لـــه: "لقد رأيته ثانيةً يا صديقي! لقد رأيته!"، فرد عليه ياسين وهـــو يصارع النوم: "عمار؟ ما هذا الذي رأيته ثانيةً؟".

فقال له في سعادة: "لقد رأيت نفس الحلم مرةً ثانيةً!! هـل تعتقد أن لهذا معنى؟.. لابد أن يكون له معنى"، فقال ياسين فى غضب: "المعنى الوحيد أنك جُننت، هل تعلم كـم الـساعة الآن؟" فقال عمار فى دهشة: "كلا، لا أعلم "، فقال ياسـين: "إنها الثالثة بعد منتصف الليل.. اخلد إلى النوم الآن، ودعنى أنم بالله عليك".

وفى الصباح، أيقظ عمار نسمة لتـذهب إلى المدرسـة، ثم حضّر الطعام، وبينما هما يتناولان الطعام قالت نسمة فى دهشة: "إنك لم تُحسن سرد القصص فقط يا أبي"، فقال لهـا: "مـاذا تقصدين؟" فأجابته: "إن الطعام مذاقه اليوم رائع" ثم ضـحكت بعفوية: "لا أقصد أن الطعام الذي كنت تعده فى السابق كـان سيئًا، ولكنه اليوم أفضل بكثير من كل يوم".

فقال لها: "حسنًا... هذا شيء جيد، وبالتالى لن نضطر إلى شراء الغذاء من الخارج"، فقالت له باستنكار: "كلا يـا أبي... من يدري؟ ربما تكون هذه هي المرة الأخيرة التي تطهو فيهـا بنفس الكفاءة!"، فأخذا يضحكان.

وعندما وصل عمار إلى المكتب، دخل عليه ياسين وقال له فى غضب: "ماذا حدث لك يا عمار؟ أتوقظني من نومي مـن أجل حلمك هذا؟" فقال عمار: "أنا آسف يا صديقي، ولكني كنت أريدك أن تشاركني فرحتي".

فقال ياسين: "وهل تعتقد أنك يجب أن تفرح لرؤيتك حلمًا".

سأله عمار: "ماذا تقصد؟"

"أنا أعتقد أنك يجب أن تذهب إلى طبيب نفسي.. فأنت ترى أشياء لم نرها طوال عمرنا".

"ألا ترى إنك تبالغ قليلاً فى وصفك لحالتي؟"

"كلا، ألم تلاحظ أيضاً إنك لم ترجع إلى حالتك النفسية السابقة قبل موت زوجتك إلا بعد رؤيتك لهذا الحلم؟"

فقال عمار: "لماذا تصر على أن هذا الحلم ليس شيئًا جميلاً، أنا أعتقد أنه ربما يكون من أفضل الأشياء التى حدثت لي بعد وفاة زوجتي"، فقال ياسين: "قل لي يا عمار، لماذا أنت بالذات الذى حلمت؟ لماذا لا نحلم مثلك؟"

فسكت عمار ثم قال: "لا أعلم.. حقيقةً لا أعلم"، فقال ياسين: "أما أنا فأعلم، ذلك لأنك مريض... نعم، أنت مريض، لقد أثّرت حادثة موت زوجتك على عقلك، ويجب أن تذهب إلى طبيب نفسي"، فقال عمار: "لا أدرى، ربما تكون على صواب.. سأفكر فى كلامك"، وهنا قال ياسين: "يجب أن أذهب الآن.. وأود أن أخبرك بأني وزملاؤنا سنحتفل اليوم فى

منزلي بعودة عمار الذى نحبه"، ثم ضحك وقال: "وأنت بالطبع أول المدعوّين"، فضحك عمار وقال: "لا أعلم كيف أشكرك على شعورك نحوي يا ياسين "، فقال ياسين: "عمار، أنت لست فقط صديقًا.. أنت أخ".

ثم غادر ياسين مكتب عمار، تاركاً عمار يفكر فى ذلك السؤال الذى سأله ياسين .... لماذا؟ لماذا هو بالذات؟

## ٥

في المساء، كان عمار يجلس على أريكته يفكر... يفكر في ذلك الحلم، ولماذا هو بالذات الذي يحلم، وبعد فترة اقتربت منه نسمة ثم جلست بجواره وسألته: "فيم تفكر يا أبي؟" فقال لها: "لا شيء".

"أنا أعلم فيما تفكر يا أبي .. إنك تتذكر أمي، أنا مثلك أفتقدها بشدة".

فنظر إليها في حنان وقال: "وأنا أيضاً يا حبيبتي"، ثم قالت: "أراك مشغولاً دائماً في الفترة الأخيرة يا أبي.. فلا نتحدث إلا دقائق"، فقال لها: "اعذريني يا بنيتي .. هناك بعض الأشياء التي تشغلني".

فقالت: "وهل أنا صغيرة حتى لا تتحدث معي عنها؟" وهنا ابتسم عمار قائلاً: "كلا.. طالما قلت عنك إنك ذكية جدا... لذلك سأحكي لك ما حدث لي".

ثم حدّثها عمار عن الحلم، فقالت له: "ياله من شيء غريب.. هل من الممكن أن نعيش في عالم مثل هذا الذى رأيته في حلمك"، فأجابها: "لا أدري.. ربما.. ولكني مؤمن بأن هناك حياة أفضل لنا"، فقالت له: "ياله من شيء جميل أن نحلم.. هل

تعلم أني لم أفكر في شيء غير حقيقي منذ أن وُلدت"، وهنا سكت عمار ثم أخذ يردد عبارتها وقال: "وأنا لم أفكر في شيء غير حقيقي أيضا منذ أن وُلدت، لماذا؟ لماذا لم نفكر من قبل؟" ثم نظر إلى الساعة وقال: "كفانا حديث اليوم، وهيا إلى النوم".

كان عمار يسير على تلك الأرض الجميلة تحت أشعة الشمس الصفراء، حتى وصل إلى منطقة مليئة بالزهور الفائقة الجمال.. فأخذ يقترب منها ثم جلس بين الزهور، وهنا استيقظ عمار من نومه وأخذ يقول: "يا إلهي! يا إلهي!"

وفي الصباح لم يذهب إلى العمل، ولم يره أحد من زملائه، وفي المساء كان الجميع في انتظاره في مترل ياسين، وبعد فترة طويلة، جاء ملفوفاً بنظرات الحيرة والاستغراب من أصدقائه، فسأله ياسين في قلق: "لماذا تأخرت يا عمار؟" أجاب عمار: "أنا آسف يا أصدقائي، لقد كنت أقوم بعملٍ مهم"، فقال ياسين: "أنت حتى لم تذهب إلى العمل اليوم"، فأردف عمار: "سأحكي لكم كل شيء".

ثم جلس عمار فأخذ يروي لهم ما رآه في الحلم... حتى أوقفه صديقه وائل شعبان وسأله في دهشة: "ماذا تقول؟ أترى أشياء في أثناء نومك؟" فقاطعه صديقه ذكي حسين: "والأعجب في هذا الحلم أنك رأيت أشعة شمس صفراء"، وهنا

قال ياسين: "والأعجب تلك النباتات.. إننا لم نـــر فى حياتنـــا شيئًا مثل تلك النباتات، ماذا أطلقت عليها يا عمار؟" أجـــاب عمار وابتسامة جميلة على وجهه: "لقد أطلقت عليها كلمـــة الزهور"، سأله ياسين: "وأين كنت طوال اليوم؟"، فقال عمار: "لقد ذهبت إلى المكتبة العامة، أبحث عن أى كتاب يتحـــدث عن نباتات تشبه تلك الزهور التى رأيتها فى الحلم"، فسأله وائل في لهفة: "وماذا وجدت؟" فرد عمار: "لا يوجد فى أي كتاب أي معلومة عن نباتات مثل تلك الزهور"، فقال ياســين: "ألم أقل لك، إنك فى حاجة لأن تذهب إلى طبيب نفسي؟"

قال عمار: "كلا يا ياسين ... سأسألك سؤالاً، هل تخيلت من قبل؟" فسأله ياسين في حيرة: "ماذا تقصد بكلمة تخيلت؟" أجاب عمار: "هى كلمة أقصد بها أن تفكر فى أشـــياء غـــير حقيقية"، فقال ياسين: "لا، لم أتخيل من قبل"، فنظر عمار إلى أصدقائه وقال: "وأنتم؟" فقالوا: "لا"، فسألهم عمار: "لمـــاذا؟ لماذا لا نتخيل؟ لماذا لا نحلم؟" فرد ياسين فى غضب: "لأننا لسنا مرضى"، فقال عمار بقوة: "كلا، ليس هـــذا نتيجـــة لمـــرض نفسي"، فقال ياسين: إذًا، لماذا تحلم ولا نحلم؟"

سكت عمار قليلاً ثم قال: "عندما ماتت زوجـــتي جميلـــة، فقدت الأمل فى كل شيء وكأن الدنيا أظلمت فى عـــيني، و لم

يبق لي في تلك الحياة غير ابنتي نسمة، وفي يوم زارني ياسين وحدثني عن أنني يجب أن أعود إلى سابق عهدي، وأنني يجب أن أعيش، وبعد رحيله، أخذت أفكر فيما قاله، وعندها تمنيت أن أعيش حياه أفضل، حياة جديدة.. حياة سعيدة.. لقد تمنيت ذلك وليس ذلك فقط، بل واقتنعت تمامًا بأنني سأعيش تلك الحياة، وفي ذلك اليوم حلمت بذلك الحلم".

فسأله ياسين: "ماذا تقصد بذلك الكلام؟"، أجابه عمار: "السبب الذي جعلني أحلم هو أنني تمنيت أن أحلم بدون قصد، فقد تمنيت أن أعيش حياة أفضل، وليس مجرد أن تمنيت.. بل آمنت بذلك".

وسكت قليلاً ثم قال: "قولوا لي بالله عليكم، هل تمنيتم من قبل أن تعيشوا حياة أفضل؟" فقال وائل: "أنا عن نفسي، لا أحلم، لا أتمنى... فقط أعيش اليوم بيومه"، وقال السيد ماهر نجيب: "إن حياتنا بسيطة، روتينية للغاية... لا نحلم، ربما نكون تمنينا في يوم من الأيام أن نعيش حياة أفضل... ولكننا لم نصدق أبداً أننا سنعيش تلك الحياة، مجرد أماني نحاول أن نخدع بها أنفسنا، ولم نصدقها أبداُ".

وهنا قال عمار: "هذا ما أقصده، أيها السادة نحن هكذا لسنا أحياء، فما فائدة الحياة إذا لم نَحيها؟ إذا لم نغيرها

للأفضل؟ نحن حتى لا نحلم بحياة أفضل، فما هو الأسوأ من ذلك؟!"

قال ياسين: "معنى كلامك، أنك إذا تمنيت حياة أفضل ستحلم بها؟"، فقال عمار: "بل عليك أن تؤمن بها"، فسأله ياسين: "ولماذا تظن أن هذا هو السبب الحقيقي الذى جعلك تحلم؟"

فابتسم عمار وقال: "لقد حلمت نسمة بالأمس"، فقال الجميع: "ماذا؟!"، فقال عمار: "نعم، حلمت أنها تلعب مع أطفال تبدو عليهم علامات السعادة البالغة التي لم تشعر بمثلها من قبل".

فسأل ياسين: "ولماذا حلمت؟" رد عمار: "في تلك الليلة.. حدثتنى عن أمها وأنها تشتاق إليها جداً، وفى الصباح أخبرتني بأنها حلمت بذلك الحلم، فسألتها عن آخر شيء فكرت فيه قبل نومها، هل تعلمون ماذا قالت؟" فسأل وائل فى لهفة: "ماذا؟" فأجاب عمار: "لقد تمنت أن تعيش حياة سعيدة، في وجودي أنا وأمها".

فقال صديقه السيد باهر مراد: "ولكن ألم تسأل نفسك سؤالاً من قبل؟" فسأله عمار: "ما هو؟"

قال باهر: "ما هو الحلم؟ أنا أقصد هل هو رؤية لعالم غير حقيقي؟ أم هل هو الجنة؟ أم ماذا؟" رد عمار: "لقد فكرت في ذلك، ولديّ حل غريب لذلك اللغز"، فسأله باهر بلهفة: "ما هو؟" أجاب عمار: "عندما فكرت في الحلم، وجدت به أشياء لا تحدث في الواقع، فأول ما خطر بذهني أن هذا الحلم هو رؤية للجنة، ولكني تراجعت عن هذا الرأي، لأن الجنة من الأشياء الغيبية التي لا يمكن أن نتخيلها، وحتى إذا كانت الجنة، فلماذا أراها عندما أحلم بحياة أفضل.. إذا فهذا بلا أي معنى، ولكن عندما تعمقت في التفكير، وصلت إلى استنتاج خطير".

وهنا سكت قليلاً ثم استدرك قائلاً: "أيها السادة... لقد اكتشفت أننا لا نعيش!!"

## ٦

تصاعدت أصوات الاستغراب والغضب من جميع أصـــدقاء عمار، وهنا قال عمار: "هدوء أيها السادة"، فسأله ياســين فى غضب: "ماذا تقصد بأننا لا نعيش؟ إذا كنت لا أعيش، فكيف أكلمك الآن؟" فقال عمار: "إن الحل الوحيد لهذا اللغز، هو أننا لا نعيش، بمعنى أننا جميعاً فى حقيقة الأمر، غـــارقين فى حلـــم مخيف سأطلق عليه كلمة "كـــابوس"... نعـــم، نحـــن الآن فى كابوس لا نفيق منه إلا عندما نحلم، فالحلم أيها الـــسادة هـــو الحياة التي يجب أن نستيقظ ونعود إليها.. هو الحياة التي يجـــب أن نعيشها".

سأله وائل في دهشة غامرة: "ما هذا الذي تقولـــه؟" فـــرد عمار: "إنه الحل المنطقي برغم غرابته وعندي دليل على ذلك، ليلة أمس عندما حلمت نسمة، حلمت أنا أيضاً ولكـــن مـــع الفارق، فقد طالت فترة حلمي.. ففى كل مرة أحلم بأني أسير فى أرض واسعة تحت أشعة الشمس الصفراء، ولكن بـــالأمس فقط، رأيت تلك الزهور الجميلة، فقد طالت فترة الحلم، ممـــا جعلني أراها، وبالتالي كلما زاد عدد الحالمين، زادت مدة الحلم وربما سنبقى فيه للأبد".

قال ياسين: "هذا ليس دليلاً كافياً على أننا لا نعيش"، فقال عمار: "إن كلامك صحيح، ولكن ليس لدينا الآن إلا هـــو"، فرد ياسين: "كلامك غير منطقي يا عمار".

أردف عمار قائلا: "وما هو المنطقي في حياتنا؟ قل لي بالله عليك.. كل يوم تستيقظ من النوم، ثم تذهب إلى عملـــك ثم تعود إلى مترلك ثم تنام ثم تعود إلى نفس اليوم من جديد! إننـــا نعيش في دائرة مغلقة.. لا نخرج منها أبداً، هل هذا هو المنطقي في رأيك؟ ماذا لو خرجنا خارج تلك الدائرة.. نحن لا نعلـــم ماذا يوجد خارجها، ولكن ماذا لو كانت الحياة أجمل خـــارج تلك الدائرة؟ تخيل مقدار السعادة التي ستشعر بها.. أنا آسف، لقد نسيت أننا حتى لا نتخيل... الذى أومن به أن الحياة مثـــل المكعب، ننظر إليه دائماً من الواجهة التي أمامنا.. ونتحمل كل ما بها من صعوبات وآلام، ولم نفكر أبداً أن ننظر إلى جانـــب آخر من ذلك المكعب، ربما توجد به السعادة... ربما نجد فيـــه أنفسنا الضائعة من جديد، إنه الأمل أيها السادة، نعم الأمـــل الذى فقدناه وفقدنا معناه وفقدنا حتى الإحساس بـــه .. لقـــد اختنق داخل تلك الدائرة، ربما لو أفقنا من هذا الكابوس الذى نعيش فيه، ربما شعرنا به من جديد.. ربما".

وفي تلك الأثناء كان الجميع في صمت مطبق، يفكـــرون في ذلك الكلام الذى أخذ بقلوبهم وعقولهم، وهنا قـــال ياســـين: "دعنا من تلك الأوهام يا عمار، إذا أردت أن تحلـــم فـــاحلم

بمفردك"، فسأله عمار: "ألم تفهم بعد؟ يجب أن نحلم جميعاً حتى يتحقق الحلم.. ألم أقل لك أنه في اليوم الذى حلمت فيه نسمة طالت مدة الحلم التي حلمتها، يجب أن نحلم سوياً".

وباستغراب سأل باهر: "إذاً يجب أن يحلم كل الناس؟" فقال عمار: "نعم، أو على الأقل معظمهم.. فسكان هـذه البلـدة ليسوا كثيرين، إلى جانب أن سكان هذه البلدة هم فقط مـن يعيشون على ذلك الكوكب"، ثم سكت عمار قليلاً فقال: "لم تقولوا لي ما رأيكم فيما قلت؟" فأخذوا يتـدافعون بـأقوالهم، فمنهم المؤيد لآرائه ومنهم الرافض لها.

ثم سأل ياسين: "وماذا لو كان هذا الجانب الآخـر مـن المكعب أسوء من الذي نراه الآن؟" أجاب عمار: "وماذا لـو كان أجمل؟.. ربما يكون أسوء ولكننا يجب أن نعـيش علـى الأمل، الأمل يا أصدقائي، إن مجرد الإحساس بالأمل يجعلـك تحيا حياة مختلفة، فقد تغيرت منذ أن شعرت بـه، عُـدت إلى سابق عهدي وربما أفضل، يجب أن نتخلص من ذلـك القيـد الذى قيدنا بالأرض منذ الأبد، هل تعلمـون مـا هـو؟ إنـه الخوف".

ثم استكمل: "إنه الخوف من التغيير.. الخوف الذى يعصف بكياننا دون أن ندري، الخوف الذى يُقعدنا عن كل ما نريـد،

ما الذي يدفعك إلى البقاء فى عملك برغم كرهك لــه؟ إنــه الخوف من ألا تجد عملاً آخر، أو ربما الخوف مــن أنــك إذا وجدت عملاً آخر لا تشعر بالراحة فيه.. إنــه الخــوف مــن التغيير.. ربما عندما تجد عملاً آخر، تجد نفسك مــن جديــد، الخوف أشبه بالعنكبوت الذى نسج خيوطه اللزجة حولنــا.. وبتكاسلنا ووهن عزيمتنا، نسج خيوطه أكثر وأكثر حتى أطبقت علينا".

وسكت قليلاً ثم قال: "سأترككم الآن تفكرون فيما قلت، وسأقابلكم ثانيةً... وداعاً يا أصــدقائي"، ثم ابتــسم وقــال: "أحلام سعيدة".

٧

كان عمار كعادته يتناول إفطاره مع نسمة، وبينمـــا همـــا يأكلان، إذا بأحدٍ يطرق الباب بعنف، ففزع عمار وانطلق نحو الباب ليفتح له، ولم يكن هذا إلا ياسين الذى كـــان يلـــهث ويلتقط أنفاسه بصعوبة، فسأله عمار: "ماذا بك يا ياسين؟ ماذا حدث؟ " فقال ياسين: "يجب أن تترك المترل أنـــت ونـــسمة الآن"، فقال له عمار فى اســـتغراب: "لمـــاذا؟ "، رد ياســـين: "سأحكي لك فى الطريق، ولكن يجب أن نذهب الآن.. أحضر كل ما تريد من أغراضك أنت ونسمة"، فسأله عمار في حيرة: "لِمَ كل هذا؟" فقال له ياسين: "أسرع يا صديقي، ســـأحكي لك لاحقاً".

وما هى إلا دقائق حتى كانوا فى سيارة ياسين الذي انطلـــق بسيارته بسرعة، حتى وصلوا إلى مترله، وما إن دخلـــوا حـــتى استقبلتهم زوجته، مدام مريم وقالت: "أهلاً بك يا سيد عمار"، ثم أقبلت نحو نسمة وقبلتها وقالت: "أهلاً بك يـــا حبيـــبتي"، فرحّب بها عمار: "أهلاً بك يا سيدتي"، فقال ياسين: "أعتقد يا مريم أنك يجب أن تأخذي نسمة لتلعب مع الأطفال بالداخل"، فأطاعته قائلة: "حسنًا يا عزيزي"، ثم انصرفت هى ونسمة.

ثم قال عمار في غضب: "قل لي يا ياسين، ما الذي جعلك تفعل كل ذلك؟" فقال ياسين: "سأروي لك كل شـــيء"، ثم سكت قليلاً وقال: "بالأمس عندما تركتنا، وبعـــد حـــديثك الغريب معنا.. دارت مجموعة من التساؤلات بيننا عن حلمك، وهل أنت على حق أم لا، كان هناك المصدقون ولكنهم كانوا قلة، لذلك فعلنا بك كل هذا"، فسأله عمار: "ماذا تقصد؟"

قال ياسين: "لقد اتفقت أنا وأصدقاؤنا أن نبلغ مستـــشفى الأمراض العقلية عن حالتك، وقد طلبت من صـــديقنا وائـــل شعبان أن يفعل ذلك في الصباح"، صاح عمار في فزع: "يـــا إلهي!"، فقال ياسين: "أنا آسف يا صديقي.. آسف لكل مـــا حدث"، فوبخه عمار: "لماذا يا ياسين؟ لماذا؟" فقال ياسين: "لم أكن أعلم إنك على حق.. لم أكن أعلم".

فقال عمار في غضب: "لماذا لم تصدقني؟ لمـــ..؟" ثم سكت وقال: "انتظر.. إنك تصدقني الآن، ماذا حدث لك؟"

فقال ياسين: "لقد حلمت بالأمس"، فقال عمار: "مـــاذا؟" أجابه ياسين: "سأروي لك كل شيء"، وسكت قليلاً ثم قال: "قبل أن أنام، أخذت أفكر في كل كلامك، ماذا لو عشنا حياة أفضل، وعندئذ شعرت برغبة قوية جداً في تلك الحيـــاة الـــتي رأيتها أنت.. وأنني أستحق أن أحياها، ثم نمت وحلمت".

قال عمار: "ماذا رأيت؟" رد ياسين فى سعادة: "لقد كنت جالساً على ضفاف نهر بين الزروع الجميلة، وكان أمامي مشهد ليس هناك أجمل ولا أروع منه... لقد رأيت شلالا"، فسأله عمار فى لهفة: "وما هو الشلال؟" أجابه ياسين: "إنه لفظ أطلقته على ماء يسقط من فوق تل مرتفع على نهر يسير فى مستوى منخفض.. إنه من أروع المشاهد التى رأيتها فى حياتي.. أنا لم أشعر بمثل تلك الراحة فى حياتي، شكراً لك يا صديقي، وأنا آسف لما حدث لك"، فقال عمار فى عطف: "لا عليك يا صديقي.. المهم أنك آمنت بقضيتي"، فقال ياسين: "بالتأكيد، أنا معك حتى النهاية، وستبقى أنت ونسمة معي في منزلي هذه الفترة"، فقال له عمار: "شكراً يا صديقي ولكني سأذهب إلى مكان آخر أنا وابنتي".

وسكت قليلاً ثم قال: "أعتقد أننا يجب أن نقنع المقربين إلينا أولاً بأفكارنا، ويجب أن يؤمنوا بها.. وعندئذٍ نبدأ بتعميم هذه الأفكار".

قال ياسين: "حسناً، سأبدأ من الغد"، فقال عمار: "سأذهب الآن، وسأتصل بك فيما بعد حتى نحدد مواعيد للاتفاق على خططنا"، فابتسم ياسين قائلا: "حسناً.. أحلام سعيدة يا صديقي".

وبعد عدة أيام اجتمع عمار مع أصدقائه فى مترل ياسين، وذلك بعد أن اعتنق أصدقاؤه أفكاره، وهنا قال ياسين: "لقد اجتمعنا اليوم لنفكر كيف سننشر أفكارنا، يجب على كل واحدٍ منّا أن ينشر تلك الأفكار، فابدءوا بأسركم فأصدقائكم ثم زملائكم فى العمل"، فسأله ذكي: "وهل هذا يكفي؟ هل بذلك سنخبر كل الناس؟" فأجابه وائل: "كلا.. ولكن هذه هى النواة الأساسية في تحقيق الحلم".

وكان عمار طوال الوقت صامتًا يفكر.. فسأله ياسين: "ما لي أراك صامتاً؟ فيما تفكر؟" رد عمار: "إن ذكي على حق.. نريد أن نخبر الناس على نطاق أوسع من ذلك، نريد أن تصل تلك الأفكار إلى كل الناس، فى بيوقم، فى أعمالهم، فى الشوارع، فى المنتديات، فى كل مكان"، فقال ياسين: "وكيف سنحقق ذلك؟"

فأخذ عمار يفكر ثم نظر إلى باهر وقال فى فرحة: "باهر.. هل ترى أخاك تامر كثيراً هذه الأيام؟" فرد باهر: "كلا، لم أره منذ فترة؟"

فابتسم عمار ابتسامة غامضة وقال: "أعتقد أننا سنزوره قريباً!"

## ٨

صاح السيد حسن شكري مدير التصوير: "هل كل شـــيء في مكانه؟ علينا أن نسرع، سنبدأ التصوير بعد خمس دقـــائق"، فقال له تامر مراد المهندس المسئول: "كل شـــيء جـــاهز يـــا سيدي، لا تقلق"، ثم جلس تامر أمام جهاز الكمبيوتر الخـــاص به، وقال السيد حسن: "أنت تعلم جيدًا يا تـــامر أن نـــشرة الأخبار بالذات يجب أن تكون في الميعاد"، فقال تامر: "كـــل شيء جاهز يا سيدي .. فها هو المُذيع على أهبة الاســـتعداد، أما آلات التصوير ففي مكانها، وأنا في انتظار لحظة البداية حتى أنقل هذا البث على الهواء".

وما هي إلا لحظات، حتى أخذ السيد حسن يصيح: "الكل يجهز، خمسة.. أربعة.. ثلاثة.. اثنان.. واحد..هيا"، وهنا أخذ المذيع يقول: "سيداتي وسادتي، إليكم نشرة أخبار التاسعة".

ولكن لم يكن كلام المذيع هو الذى تم بثه فى التليفزيـــون، فبأصابع تامر وببضع ضربات على لوحة الكمبيـــوتر، تم بـــث شيء آخر، لقد كان تسجيلاً لحديث عمار محمود، حيث بـــدأ حواره قائلاً: "أيها الســـادة.. هيا بنا نحلم!".

لقد رأى الجميع هذا التسجيل، لقد كـــان حـــديثاً غريبًـــا ومؤثراً جداً، والأغرب هو رد فعل الجميع.. فقد كانوا فى حالة

أشبه بالسكوت المطبق طوال فترة البث، واستمر هذا الصمت المصحوب بالاستغراب والدهشة بعد انتهاء البث.

وفى صباح أحد الأيام، كان المعلق يقول: "سيداتي وسادتي.. أهلاً بكم، تسر محطة الرياضة الإذاعية أن تنقل لكم على الهواء مباشرةً المباراة النهائية بين فريق الابطال وفريق الأجيال في بطولة البيسبول، وقد اصطف اللاعبون فى الملعب، وامتلأت المدرجات لآخرها.. وما هى إلا دقائق وسيعلن الحكم بداية المباراة المرتقبة".

ثم سكت قليلاً، وقد ارتفعت أصوات الجماهير بالدهشة قائلين: "ما هذا؟" فأخذ المعلّق يقول: "أنتم تسمعون معي أصوات الجماهير.. إنها أصوات دهشة واستغراب مما يحدث فى الملعب، فقد نزل أحد الأشخاص وسط الملعب... يا إلهي ماذا أرى، إنه يمشي بحراسة مجموعة من رجال الأمن الذين يمنعون زملاءهم الآخرين من رجال الأمن من التعرض له، يا إلهي! ... يا ترى من هذا الرجل؟!"

ثم ما لبث أن التقط الرجل الذى نزل الملعب الميكروفون وقال: "مساء الخير.. أنا عمار محمود".

بعد هاتين الحركتين الجريئتين من عمار محمود، انتشرت أفكاره فى كل مكان، حتى أصبح أشبه بالمرشح الذى سيرشح

نفسه للانتخابات، وأخذت الصحافة تكتب عن عمار وعن أفكاره الجديدة، وأخذت تسرد قصة حياته، وتعددت اللقاءات مع أصدقائه، وأصبح حديث الناس، وقد اعتنق أفكاره الكثيرون، ومع مرور الوقت يزداد عمار ورفاقه إيماناً، لأن مدة الحلم تزيد وتزيد.

وفى الصباح، كان الحاكم سليمان توفيق يصرخ قائلاً: "كيف يحدث كل هذا؟ لقد تعدّى هذا الرجل كل الحدود؟ كيف تسمحون له بكل هذا؟ لقد ظهر فى التليفزيون الوطني، وفى مباراة البيسبول الأخيرة، ألم تروا كيف دخل إلى الإستاد في حراسة رجال الأمن؟ كيف انساق هؤلاء لذلك الرجل؟ إن هذا تقصير رهيب منكم، ولا بد أن يُجازى المسئول عن هذا التقصير".

فقال أحد أتباعه فى توتر: "سنبدأ التحقيق فورًا يا سيدي وسنقبض عليه وعلى كل أتباعه الذين انتشروا فى كل مكان "، فقال الحاكم: ليس هناك فائدة من التحقيقات، ولا داعي لأن تقبض على أتباعه.. فهم كالغنم الذي سيتفرق إذا لم يجد الراعي".

ثم ابتسم ابتسامة غامضة وقال: "يجب ألا يجدوا الراعي".

كان عمار جالساً مع أصدقائه فى منزله، وقال باهر: "لقد نجحنا نجاحًا كبيرًا بتلك الضربتين الكبريين، فوصل صوتنا إلى

كل الناس، فما من بيت إلا ويعلم من هو عمار محمود"، فقال ماهر نجيب: "بل وتحدثت الصحافة والإذاعة والتليفزيون عن عمار وعن أفكاره، هل هناك أفضل من ذلك؟"

فقال عمار: "نعم يا سادة، لقد نجحنا وتقدمنا بخطواتٍ كبيرة نحو الحلم ويجب أن نناقش الآن كيف سيكتمل الحلم"، فقال ياسين: "يجب أولاً، أن نقوم بعمل إحصائيات عن عدد الناس الذين اعتنقوا أفكارنا"، فقال وائل: "إنهم كثرة بلا شك، ودليل كلامي أن فترة حلمنا تطول كل يوم عن اليوم الذى يسبقه".

فقال عمار: "ولكن ياسين على حق، نريد أن نعرف العدد الفعلي الذي آمن بأفكارنا من سكان مدينتنا، لذلك سنقوم جميعاً بعمل تلك الإحصائيات، سنوزع أنفسنا على جميع مناطق المدينة، كما سنقوم بـ.."

وهنا دخل المترل ضابط تبدو عليه علامات الشدة والصرامة، ومعه مجموعة من رجال الشرطة وقال: "لن تقوم بأي شيء يا سيد عمار".

ثم ابتسم الضابط وقال: "أنت مدعو عندنا اليوم"، ثم أخذ يطلق ضحكات هستيرية.

## ٩

استيقظ عمار فوجد نفسه مُلقى في زنزانة صغيرة، أشبه بالقبر يُغلّفها الظلام من كل جانب، فحاول أن يقف ولكنه لم يستطع من لشدة الآلام التي شعر بها، من شدة التعذيب الذي تعرض له، فأخذ يصرخ ويقول: "أين أنا؟ أخرجوني من هنا"، ولكن ما من مجيب.

وبعد فترة من الزمن، فُتحت الزنزانة وإذا بالسجّان المدعو عزيز بيومي يقول: "خذ طعامك"، ثم ألقى له بطبقٍ على الأرض، فقال له عمار وكان في حالة يرثى لها: "أخرجوني من هنا، أنا لم أفعل أي شيء".

فقال عزيز وهو يُعيد غلق الزنزانة: "لقد حذروني من التحدث معك وأخبروني بأنّ كلامك معسول، وأنك كذاب، على أية حال، سأرتاح منك قريبًا، فسيتم إعدامك يوم الجمعة المقبل، أي بعد يومين"، وهنا صاح عمار: "إعدام! يا إلهي! يا إلهي!"، ثم أخذ يصرخ في هستيريا: "أخرجوني من هنا... أخرجوني من هنا"، كان ياسين مع أصدقائه يتحدثون، قال ذكي: "هل سنسكت على ما حدث لعمار؟ لقد زجّوا به في السجن، ولقد سمعت أنه سيتم إعدامه يوم الجمعة القادم بتهمة الخيانة والترويج لأفكار هدّامة، فماذا سنفعل؟" فقال وائل: "ألم تلاحظوا أن عدد الناس الذين اعتنقوا أفكارنا قد ازداد زيادة

ملحوظة، بعد دخول عمار السجن وخصوصًا بعدما علم الناس أنه سيتم إعدامه، وربما بعدما يموت يؤمن كل الناس بأفكارنا"، فقال ياسين فى غضب: "ماذا تقصد؟ هل سنتركهم يقتلونه؟"

فسكت وائل ثم قال: "هل تعتقد يا ياسين أنني أتمنى لعمار الموت؟ كلا بالطبع إنه صديقي كما هو صديقك، ولكن أليست تلك أمنيته؟ أليست تلك أمانينا؟ لقد تعاهدنا من قبل على التضحية بأنفسنا فى سبيل تحقيق أحلامنا".

فقال ياسين فى غضب: "ماذا تقول يا وائل؟ هل سندعه يموت؟ نحن مازلنا فى حاجةٍ إليه، كلا لن ندعه يموت أبدًا"، فقال وائل: "وهل عندنا حل آخر؟هل تفكر مثلاً فى أن نقوم بعملية انتحارية وننقذ عمار ونخرجه من السجن؟ نحن لسنا جنودًا أو مدربين على عمليات فدائية كتلك التي تحدث فى الأفلام، نحن أُناس عاديون جدًا".

فقال ياسين وهو يمنع بالكاد دموعه: "هل سنتركه يموت؟"

فقال باهر: "ماذا بيدنا يا صديقي، هذا قدره ويجب ألا نتوقف الآن، سنحيا لتحقيق الحلم الذى عاش من أجله، لن يذهب موته هباء"، فقال ياسين فى غضب: "أنا لن أتركه هكذا"، فسأله وائل: "ماذا ستفعل؟" أجابه ياسين: "لا أدري.. لا أدري".

ظل عمار وحيداً فى عزلته، لا يعلم الليل من النهار... كلما نظر حوله رأى ظلامًا، حتى إنه شعر إنه أُصيب بالعمى، أو كأن الظلام ينبعث من جدران الزنزانة ليزيده كآبة وحزنًا، يترقب الموت كل ساعة، كل دقيقة.

وبينما هو جالس، سمع أصوات أقدام السجّان عزيز يقترب منه، لقد حطمت تلك الأقدام جدار الصمت المحيط بعمار، كان يشعر بها وكأنها تسقط على نفسه لتزيده تحطيماً، إنه يسمع صوت المفاتيح التي يمسك بها السجّان... نعم إن هذا صوتها، ولكن هذا ليس موعد إحضار الطعام، فأخذ يحدّث نفسه ويقول: أنا لا أعلم هل أنا بالليل أم بالنهار.. نعم، لابد وأني بالنهار.. وأنه قد جاء موعد الموت، لقد شعر وقتها أنه لا يريد أن يخرج من تلك الزنزانة، ولا يدري لماذا تذكر فى تلك اللحظة ذلك المشهد الذى رآه في حديقة الحيوان.. مشهد الأسد وهو يفترس قطعة اللحم التي قدّمها له العامل.

وهنا فتح السجّان عزيز الزنزانة، فلم يستطع عمار أن ينطق بحرف وازداد انكماشا فى مجلسه، فقال عزيز: "هيا بنا يا عمار"، فأخذ عمار يصرخ ويقول: "كلا.. لا أريد أن أموت.. لا أريد أن أموت".

فأسرع نحوه عزيز وقال: "إهدأ يا عمار، أخفض صـــوتك حتى لا ينتبه أحد إلينا، من قال إنك ستموت؟" فنظر إليه عمار نظرة الأعمى الذي رأى خيطاً من نور، وسأله: "ماذا تعـــني؟" فأعطاه عزيز ملابس وقال: "ارتدِ هذه الملابس بسرعة، يجب أن تغادر السجن حالاً".

سأله عمار في دهشة: "كيف هذا؟ " أجابه عزيز: "سترتدي هذه الملابس العسكرية وتغطي وجهك بهذه القبعة، وسأخبرك بالتفصيل كيف تخرج من السجن"، فقال عمار في سعادة: "هل أنت جاد فيما تقول؟" فقال عزيز: "أسرع يا عمار، ليس لدينا وقت كي نضيعه".

فالتفت إليه عمار قبل أن يخرج: "وأنت؟" فقال عزيـــز: "لا تقلق عليّ، أنا أعلم ماذا أفعل... وداعاً يا عمار".

وفي اليوم التالي، قال ماهر: "حمداً لله على ســـلامتك يـــا عمار، لقد كدنا نفقدك، لولا ذكاء ياسين، لقد فكـــر كيـــف يخرجك من السجن و لم يجد أفضل من سلاح العقل، فبمساعدة بعض الأصدقاء علم أن عزيز بيومي هو المسئول عن حراستك في السجن، فذهب إليه في مترله وأقنعه بحلمنا وأفكارنا، وازداد اقتناعا عندما حلم، فكان له الفضل بعد الله في أن تبقى علـــى قيد الحياة حتى الآن".

فنظر عمار إلى ياسين في امتنان قـــائلاً: "لا أدري كيـــف أشكرك يا صديقي، شكرًا لك لإنقاذك حياتي ولرعايتك لابنتي فى غيابي"، ثم سكت قليلاً و قال: "ولكني لا أدري ماذا حدث لعزيز بعد ذلك؟" فقال وائل: "أعتقد أنه ســـيتعرض لـــلأذى، ولكن ليس للموت، إنهم يريدونك أنت وليس هو، وحفاظـــاً على أمنك اجتمعنا اليوم في هذا المنزل الذى لم نتقابل فيه مـــن قبل، وسوف نغير المكان فى كل مرةٍ نتقابل فيها".

فقال ياسين: "وبالنسبة للإحصائيات عن عـــدد المقتـــنعين بأفكارنا، فقد ازداد عدد الحالمين بعد دخولك السجن زيـــادةً رهيبةً، حتى وصل العدد الآن إلى أكثر من ٨٥ % من عـــدد سكان البلدة، وهنا تكمن المشكلة"، فنظر إليه عمـــار وقـــال: "ماذا تعني؟" فقال ياسين: "عمار.. نحن على خطأ، لقد عـــشنا وهماً زائفاً طوال ذلك الوقت".

فسأله عمار في فزع: "ماذا تعني؟"

فقال ياسين: "الحلم لا يتحقق!!"

## ١٠

قال عمار: "أنا لا أفهم أي شيء، ماذا تقصد بأن الحلـــم لا يتحقق؟"

فقال ياسين: "إن عدد الحالمين يزداد يوماً بعد يوم، ونحـــن نشعر بذلك، فكل يوم يطول الحلم عن اليوم الـــذى يـــسبقه، ولكن المشكلة هي أنّ الحلم لا يتحقق، بمعنى أننا نـــستيقظ فى الصباح ونجد أنفسنا فى نفس الواقع الذي نعيش فيه وليس كما قلت أنت فى البداية.. ألم تقل بأننا لو حلمنا كلنا ســـنبقى في هذا الحلم؟"

وأضاف وائل: "نحن الآن لدينا رغبة شديدة في البقـــاء فى هذا الحلم، وقد فعلنا أقصى ما بوسعنا فى سبيل تحقيقه.. وآمن بنا الكثيرون، فلماذا لا نعيش الحلم؟ لماذا لا نبقـــى فيـــه؟" رد عمار: "ربما لأنه لم يؤمن بأفكارنا كل الناس بعد".

فقال ياسين: "هذا صعب جداً، فهناك أُناس لـــن يؤمنـــوا بأفكارنا مهما فعلنا، منهم الحاكم وأتباعه والمستفيدون منـــه، ولو حاولنا أن نقنعهم، فسيكون مصيرنا مثلما حدث لـــك أو ربما أسوء، لن نستطيع أن نقنع هؤلاء".

وسكت ياسين قليلاً ثم قال: "ألم تشعر بأننا مُطـــاردون.. فنحن الآن جالسون ولا ندري ماذا سيُفعل بنا"، ثم نظـــر إلى

باب الغرفة وأشار إليه قائلا: "ربما يدخل علينا الآن من هذا الباب رجال الأمن ليقبضوا علينا، صدقني يا عمار، لن نستطيع أن نصل لهؤلاء".

فقال عمار: "إذاً إن لن نستطع إقناع كل الناس، فكيف سيتحقق الحلم؟"

فأردف ياسين: "هذا هو السؤال"، فقال عمار: "لقد قام كل واحد منّا بواجبه، فما الذى لم نفعله؟ هناك ولابد حل لهذا اللغز.. لابد أن هناك حلاً".

وفى نفس الوقت، كان الحاكم سليمان توفيق يقول فى غضب: "كيف يحدث كل هذا؟ ما هذا التسيب؟ لابد أن يُحاسب المسئول عما حدث".

فقال له رئيس السجن فى رعب: "لا أدري كيف حدث هذا؟ ولكننا سنبدأ التحقيقات فورًا"، فصاح الحاكم في دهشة وغضب: "ألم تبدأ التحقيقات حتى الآن؟" ثم نظر إليه وقال: "أخشى أن تكون من المؤمنين بأفكار ذلك المدعو عمار"، فرد رئيس السجن في خوف هائل: "كلا يا سيدي، وكيف هذا؟ هذا لن يحدث أبداً، سوف نفعل كل ما تراه صحيحاً يا سيدي"، فقال الحاكم في غلظة: "انصرف الآن".

ثم استدعى الحاكم رئيس الشرطة وقال له: "يجب أن تقبض على ذلك المدعو عمار، يجب أن نشنقه في الحال"، فقال له رئيس الشرطة: "لا تقلق يا سيدي، سنقبض عليه"، فقال الحاكم في غضب: "انصرف الآن، ولا أريد أن أراك قبل أن تجد ذلك الرجل".

وهنا غادر الحاكم مجلس الحكم، ودخل غرفته حيث كانت زوجته جالسة، فسألته: "لماذا أنت في شدة الغضب اليوم، كل هذا من أجل رجل واحد؟"، فقال لها في غضب: "لا تذكري لي شيئاً عن هذا الرجل، سأقبض عليه"، فقالت له: "وما الذي يغضبك منه؟ ألا تريد أن تحلم مثله؟" فنظر إليها في دهشة قائلا: "ماذا أسمع؟ هل اقتنعت أنتِ أيضًا بأفكاره تلك؟"

فقالت في هدوء: "كلا، ولكني أتساءل لماذا أنت غاضب منه؟"

أجابها: "إنه يفسد الشعب بأفكاره الفاسدة، فلم نسمع من قبل أن أحداً حلم، لم أسمع أبي من قبل يذكر شيئاً من ذلك القبيل"، فسألته: "وماذا لو تغيرت وحلمت؟"

فقال لها: "أتغير؟ لماذا؟ أنا الحاكم.. ولا يوجد ما هو أفضل من هذا، وسأظل هكذا حتى أموت، لن ينتزع أحد هيبتي مهما كان، لن يأتي اليوم الذى سأكون فيه تابعاً لأفكار أحدٍ مهما

كان"، ثم نظر إليها وقال فى جنون: "سأظل قابضًا على الأمور بيدٍ من حديد حتى أموت، وقبل ذلك سأسيطر علـــى تفكـــير الناس.. فالعقول يجب ألا تعمل، فهي أخطر سلاح يمكـــن أن يهددني".

وفى مكان آخر، قالت نسمة: "لماذا لا تزورني كثيرًا يـــا أبي فى مترل خالتي؟" فأجابها عمار: أخشى عليـــكِ مـــن الأذى، لذلك وضعتك عند خالتك، وأنا مشغول جداً هـــذه الأيـــام، اعذريني يا بنيتي".

فقالت له: "لقد كنت أتمنى أن نبقى سوياً"، فقـــال لهـــا في حنان: "سيأتي اليوم الذي لن نفترق فيه أبداً"، فسألته: "متى؟" رد قائلا: "مازلت أبحث عن إجابة هذا السؤال".

ثم قال لها: "دعينا من هذا، كيف أحوالك؟ ومـــا أخبـــار المدرسة؟" فقالت له: "أنا بخير، وأذاكر دروسي بانتظام، وأنـــا الآن أُشارك فى عملٍ جميلٍ يا أبي"، فسألها: "وما هو؟"

فقالت له فى فرحة: "أقوم وزملائي فى الفصل بعمل مجلـــة عن الفصل وعن المدرسة، كما طلبت منّا الأستاذة"، فقال لها: "هذا شيء جميل"، فقالت في حيرة: "أنا أستطيع أن أقوم بذلك العمل بمفردي أو بمساعدة إحدى زميلاتي، لا أعلم لماذا طلبت الأستاذة أن يشترك كل طلبة الفصل فى هذا العمل".

فقال لها فى عطف: "لأن الهدف من هذا العمل ليس فقط المجلة يا بنيتي، إنه .."

سكت فترة، ثم أخذ يبتسم، فقالت له: "ماذا يا أبي؟ ما الذى يجعلك تبتسم هكذا؟"

فقال لها وهو فى شدة السعادة: "شكراً لكِ يا بنيتي.. لقد عرفت الآن لماذا لا نعيش الحلم..."

ثم ازدادت ابتسامته وقال: "لا تقلقي، سنعيشه".

وفى نفس اليوم ذهب عمار لياسين وقال له: "يجب أن نسرع ليس هناك وقت"، فقال ياسين: "إهدأ أولاً يا صديقي، ثم قل لي ماذا تريد".

فقال عمار: "لقد عرفت لماذا لا نعيش الحلم"، ثم سكت قليلاً وقال: "لقد قمنا بكل شيء معاً، ويجب أن نكمله معاً.. هذا هو الحل الوحيد".

فقال ياسين: "أنا لا أفهم أيّ شيء"، أردف عمار: "لتحقيق الحلم لابد وأن نتكاتف جميعاً حتى يعلم كل الناس بالحلم، وهذا ما فعلناه، فعلنا كل ذلك معًا، ولكى نعيشه يجب أيضاً أن نحلم معاً"، فسأله ياسين: "ماذا تقصد؟" أجاب عمار: "لا يجب أن يحلم كل واحد منّا بمفرده، لابد وأن نحلم جميعاً فى وقت واحد.. لابد من أن نحدّد موعدًا ينام فيه كل الناس ونحلم

جميعاً... وعندئذٍ أنا مؤمن كل الإيمان أنّنا سنعيش الحلم.. فقط إذا كنّا معاً".

فقال ياسين: "أنا أثق بك دائماً يا عمار، وأنا معك حتى النهاية، لذلك لابد وأن نحدد موعدًا بأقصى سرعة، حيث إنني علمت من أحد أصدقائي في الشرطة، أنّ هناك حملة ضخمة للقبض عليك، وأنّ هناك احتمالاً أن يحاولوا الضغط عليك لتسلّم نفسك بالقبض على ابنتك، وإذا قبضوا عليك هذه المرة فلا مفر من القضاء عليك"، فقال عمار في فزع: "إذاً يجب أن نتحرك بسرعة.. سأذهب لأحضر نسمة لتكون معي وأنت يجب أن تخبر كل الناس بالموعد.. وليكن غداً مساءً".

وفي اليوم التالي، كان رئيس الشرطة يقول لخالة نسمة: "مدام هالة، أين نسمة؟"، فقالت له: "إنها ليست موجودة؟" فقال لها: "أنا أعلم، ولكن أين ذهبت؟" فابتسمت في سخرية وقالت: "وما يدريني؟ ها هو البيت عندك فتّشه مرةً ثانية إذا أردت".

فقال لها في غيظ: "أتعتقدين أنك بذلك تحمينها منّا، سوف ننال منها ومن أبيها مهما طال الوقت"، فقالت له: "إذاً يجب أن تسرع، فربما لا تستطيع أن تجدها بعد اليوم أبداً".

فسألها في غضب: "ماذا تقصدين؟" فقال له مساعده: "ألم تشاهد التليفزيون يا سيدي؟ إنهم يذيعون أنّه في مساء اليوم سوف ينام الجميع في وقتٍ واحد حتى يحلموا جميعاً"، فقال رئيس الشرطة: "إذاً يجب أن نجده قبل ذلك"، ثم نظر إلى مدام هالة قائلا في تحدٍ: "وسنقبض عليه".

وفي المساء، كانت نسمة مع أبيها راقدين على الفراش في مترلهما، فنظرت إلى الساعة وقالت لأبيها: "لقد اقتربنا يا أبي من تحقيق الحلم، لقد أوشكت الساعة على العاشرة، وهذا هو الموعد الذى حددته".

فقال عمار: "نعم يا بنيتي"، ثم نظر إلى الساعة وابتسم قائلاً: "تفصل بيننا وبين الحلم دقيقتان، هل تريدين أن تقولي شيئاً قبل مغادرة هذا العالم ؟" فقالت له: "لقد اشتقت كثيراً إلى مترلنا هذا، وكنت أتمنى أن تكون أمّي معنا الآن"، فقال لها: "وأنا أيضاً يا بنيتي، ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه"، فنظرت إليه باستغراب وقالت: "ماذا تقصد يا أبي؟ هل من الممكن أن لا نعيش الحلم؟" فنظر إليها وأخذ يفكر في هذا المعنى... هل فعلاً سيتحقق الحلم.. هل؟

ثم نظر إلى الساعة وعقرب الثواني يفصلهم عن العاشرة بعشر ثوان، ثم قال عمار: "أتمنى أن نعيش حياة أفضل يا حبيبتي.. أتمنى".

وهنا سمع عمار من بعيد أصوات أبواق سيارات الـشرطة، فنظر إلى الساعة وقد جاءت العاشرة، فنظر إلى الصورة الـتي تجمعه بجميلة ونسمة ثم أمسك بيد ابنته وابتسم قائلا: "يجب أن تؤمني أولاً.. سنعيش يا حبيبتي.. سنعيش".

ثم أغلقا عينيهما.

# الفهرس